الباب الرابع

المواقف والأهداف من
الحوار الإسلامي المسيحي

تمهيد

تباينت المواقف والأهداف من الحوار الإسلامي المسيحي، عند كل من الطرفين، المسلمين والمسيحيين على السواء، حيث انقسمت هذه المواقف بين مؤيد للحوار، داعم له، وبين معارض له، يرفض استمراريته، ويطالب بالحذر منه، ومن نتائجه التي قد يوصل إليها.

ولكن بالرغم من تباين المواقف من الحوار الإسلامي المسيحي، عند كل من الطرفين، فإن الجانب المسيحي كان على دراية أكثر من الجانب الإسلامي فيما يتعلق بعملية الحوار، والتخطيط له، والأهداف المرجوة منه، إذ كان الموقف واضحاً، فوضعت له الأسس والقواعد والأهداف، وخطط له بشكل مسبق.

ويضم هذا الباب الفصلين التاليين:

الفصل الأول: موقف المسيحيين من الحوار الإسلامي المسيحي، وأهدافهم منه.

الفصل الثاني: موقف المسلمين من الحوار الإسلامي المسيحي، وأهدافهم منه. وقضية وحدة الأديان.

* * *

الفصل الأول

موقف المسيحيين من
الحوار الإسلامي المسيحي وأهدافهم منه

هناك تصريحات وآراء متعددة من قبل المسيحيين تتعلق بالحوار مع المسلمين، من حيث أهدافه، والموقف الذي يجب أن يتخذ تجاهه.

وقد تمثلت هذه التصريحات في اتجاهين: الأول تصريحات فردية، وهي عبارة عن آراء من قبل بعض الشخصيات المسيحية، سياسية أو كهنوتية، دعت إلى ضرورة الحوار مع المسلمين، من أجل عدة أهداف، أهمها:

تحقيق التعايش المشترك، القائم على الاحترام المتبادل، ومواجهة الأخطار التي تحيق بالبشرية، من الحروب، وتلوث البيئة، والوقوف على وجه الإلحاد في العالم، والدعوة إلى محاربة الفساد، وبخاصة المخدرات، وغيرها.

وأما الاتجاه الثاني: فكان موقف الكنيسة المسيحية من الحوار مع المسلمين، حيث وضعت الكنيسة للمسيحيين الأسس والقواعد والأهداف لأي حوار مع المسلمين.

وتمثلت هذه الأسس والقواعد والأهداف في قرارات، وتوصيات، وبيانات، صدرت عن الفاتيكان، الذي يتزعم الكنائس الكاثوليكية في العالم.

وأيضاً في قرارات، وتوصيات، وبيانات مجلس الكنائس العالمي، الذي يشرف على الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية، غير التابعة لسلطة البابا في الفاتيكان.

ولذلك سيتعرض هذا الفصل لتلك المواقف من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

موقف الفاتيكان من الحوار الإسلامي المسيحي

حدث أول تغير في موقف الكنيسة الكاثوليكية الرسمي في الفاتيكان تجاه المسلمين في العالم، عقب المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الذي دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون، واستمر من عام (1961م) إلى عام (1964م)، حيث جاء في القرارات الصادرة عن المجمع، بتاريخ (28/ 10/ 1965م)، بيان يتعلق بالمسلمين، والعلاقة معهم، والذي جاء فيه مايلي:

«وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد، الحي القيوم، الرحمن القدير، فاطر السموات والأرض، والذي خاطب البشر، والذين يجتهدون في أن يخضعوا من صميم الفؤاد لأحكام الله، حتى ولو كانت خفية [أي: العقائد الغيبية]، كما خضع له إبراهيم، الذي يشير إليه الإيمان الإسلامي بطيب خاطر.

وهم وإن كانوا لا يعترفون بالمسيح كإله، إلا أنهم يجلونه كنبي، ويكرمون والدته العذراء مريم، بل وأحياناً يذكرونها بكل تقوى ، وعلاوة على ذلك فإنهم يترقبون يوم الدينونة، حيث يجازي الله جميع الناس، الذين يقومون من بين الأموات، وهذا ما يجعلهم يقدّرون الحياة الأبدية، ويعبدون الله، خاصة بالصلاة، والزكاة، والصيام.

وإن كانت قد نشبت منازعات وعداءات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين، على مدى الأجيال، فإن المجمع المقدس يهيب بالجميع أن ينسوا الماضي، ويعملوا بإخلاص على إحلال التفاهم المتبادل بينهم، ويتعاونوا على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعية، والقيم الأدبية والحرية للناس أجمعين[1].

هذا البيان معروف باسم (نوستراتيت) Nostra Aatate وإن هذا البيان قد اهتم بكل

---

(1) لقاء المسيحية والإسلام (ص43).

الديانات، إلا أن الإهتمام الأكبر كان منصباً على علاقة الكنيسة بالديانة اليهودية.

ويلاحظ أن البيان لم يتطرق إلى الدين الإسلامي، ولا إلى شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ، بل أشار إلى المسلمين فقط، والعلاقة معهم[1].

وبناء على قرارات وتوصيات المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، فقد أنشئت لجنة خاصة باسم: «أمانة سر اللجنة الدائمة للعلاقات مع المسلمين»[2].

حيث بينت هذه اللجنة موقف الفاتيكان من العلاقة مع المسلمين، وشروط حوار المسيحيين معهم.

وقد صدرت عن اللجنة عدة بيانات توضح أسس تلك العلاقة، وشروط الحوار مع المسلمين، وهذا موجز عن أهم تلك البيانات:

البيان الأول: نحو حوار مع المسلمين[3]:

قام بوضع هذا البيان الباحث اللاهوتي: (لويس كاردت)، وقد نشر هذا البيان في عام (1966م)، تابعاً للبيان الصادر عن المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، المعروف باسم (نوستراتيت)، وقد تضمن هذا البيان مايلي:

مقدمة تمهيدية: وفيها دعوة كل من طرفي الحوار المسلمين والمسيحيين، إلى الصبر والأناة، لتغيير سوء التفاهم، وتبديل الأفكار الزائفة، التي حملها المسلمون تجاه المسيحيين، وحملها المسيحيون تجاه المسلمين، ويجب أن يتوضح للمسلمين أن المسيحي عندما يقوم بالحوار، إنما يقوم به لشعوره بالواجب تجاه دينه، وتجاه الناس، حتى يعلموا أن المسيحي يحاور المسلم ليحولهم إلى أصدقاء له، وليبين لهم انه يؤمن بالتوحيد الحقيقي، وهذا كله يتطلب من المسيحي أن يوضح عقيدته عن رفعة وعظمة الله تعالى.

ويجب على المسيحي أن يعرض إيمانه بشكل يفهمه المسلم، وبخاصة تلك

---

(1) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (2/1)

(2) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (1/9)

(3) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (2/2)

المفاهيم الإيمانية التي يوجد مثلها في الإسلام، مثل: الثقة بالله تعالى، والصبر على المصائب، والشدائد، والتخلق بالأخلاق الحميدة كالصدق وغيره.

وهناك مواضيع أخرى مهمة بالنسبة للمسلم، وتتعلق بنظرة المسلم إلى: العالم، والإنسان، والخالق. وهذا محور اهتمام المسلم عموماً، ولذلك يجب التحاور حولها.

الموضوع الأول: مفهوم عظمة وسمو الله تعالى، والعلاقة بين الله والإنسان، وبين الله والعالم. وهل الإنسان مسير أم مخير؟

وهذا الأمر يؤدي إلى عرض قضية حرية اختيار الإنسان أمام الخالق. وهناك قضية الوحدانية التي تعتبر أساس الإيمان عند المسلمين.

الموضوع الثاني: قضية الإيمان بوجود الله تعالى، وأنه الخالق لكل شي، وأن كل مافي الحياة هو دليل على وجود الله تعالى، وكذلك الرسالة، والوحي الذي جاءت به الرسل، كل ذلك هو دليل على وجود الله تعالى، وهذا كله يجب أن يكون بالإيمان الحقيقي، قلباً ولساناً، لأن الإنسان مسؤول عن هذا الإيمان أمام الله تعالى.

الموضوع الثالث: المفاهيم والقيم الفلسفية الأخلاقية عند المسلمين، كالعدالة والتوبة وقيمتهما، والذنب الكبير والصغير، وأن النجاة ليست في هذه الدنيا فقط، وقضية الفضائل والنقائص.

البيان الثاني: ماهو الموقف الديني الذي يجب أن يتبناه المسيحيون في الحوار مع المسلمين[1]:

اقتبست هذه الدراسة من بيان صدر عن الفاتيكان في عام (1969م)، يحمل عنوان: (الخطوط العريضة للحوار بين المسلمين والمسيحيين).

ويتضمن البيان مايلي:

يجب على المسيحيين من خلال الحوار مع المسلمين توضيح إيمانهم من خلال القضايا الروحية، والطقوس التعبدية.

---

(1) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (2/6)

وإن المسلم يحب أن تُناقش القضايا التي سبق أن ذكرها بيان (كاردت)، إضافة إلى قضايا أخرى عصرية، تتعلق بالإنسان، والتقنية، وجوانب الحياة المختلفة، لأن كل مسلم متفتح يحاول دراسة السبل الكفيلة بتطوير مجتمعه عبر الزمن، وهذا كله يدعو المسيحي إلى تأكيد بعض المواضيع الدينية التي يعتقد بها كعضو منتسب إلى الكنيسة.

وهذه هي جملة المواقف التي يجب اتخاذها في الحوار مع المسلمين:

(1) ـ يجب على كل طرف أن يسلّم بوجود الطرف الآخر صراحة، لأنه إذا كان الهدف من الحوار تحويل الطرف الآخر عن دينه، فسوف يصبح الحوار مستحيلاً.

وبخاصة وأن كل مسلم يرى أن كل شكل من أشكال الحوار إنما هو سبيل للهداية. أي دعوة الطرف الآخر إلى الإسلام.

ولذلك وعند وجود مثل هذه الحالة يجب تجنب كل حوار يتضمن عرض المسائل والفلسفات الدينية، خوفاً من الخوض في قضايا قد تؤدي إلى سوء الفهم والفشل بين الطرفين.

ويجب أيضاً أن يوصل الحوار إلى قناعة مشتركة بين الطرفين، وهي أن يقبل كل طرف الطرف الآخر كما هو، على حقيقة دينه، حيث يحترم كل طرف عقيدة الطرف الآخر، ويمكن بذلك الوصول أيضاً إلى أن يساعد كل طرف الطرف الآخر في تطوير وإكمال خبرته الروحية.

(2) ـ عدم التخلي عن الإيمان المسيحي الخالص أثناء مجريات الحوار، حتى ولو كان الهدف هو الوقوف مع المسلمين على مستوى واحد في العقيدة والإيمان، لأن ذلك سوف يفقد كل معنى للحوار، لأنه قد يطلب من المسيحي أن ينقص من إيمانه شيئاً معيناً، حتى لا يتناقض ذلك الإيمان المسيحي مع تصريحات القرآن الكريم بالنسبة للمسلم.

ولكن الشيء المطلوب هو أن يلتقي المسلم مع المسيحي وهو بكامل حياته الروحية والاعتقادية، ـ أي أن لا يتنازل المسيحي عن شيء من معتقداته ـ.

(3) ـ يجب على المسيحيين أن يجددوا معرفتهم بدينهم.

هناك بعض القضايا المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في مجال العقيدة، مثل

أن الله حي، واحد، خالق، وأنه قد تكلم عن طريق أنبيائه للبشرية، لكي يهديهم إلى النجاة الأبدية، والإيمان المشترك بين المسلمين والمسيحيين بإبراهيم ـ عليه السلام ـ بأنه والد الجميع في العقيدة.

وقد يطلب المسلم من المسيحي أن يشرح له عقيدته، ويفسرها له، بل الأهم هو أن يبقى المسيحي على إيمانه الحقيقي كاملاً.

لأن الحقيقة عند المسيحيين لا يبحثون عنها بأنفسهم، بل الله هو الذي يعطيهم إياها، ولأن حياة الله الخاصة لا يمكن أن يفسرها الإنسان بنفسه.

(4) ـ فهم جديد للأديان وفق مصطلحات القيم الدينية:

يجب الاعتراف بأن الإسلام دين تمسك بالقيم الدينية، والتي هي أرفع القيم في العالم، مثل عبادة الله، والشكر له، والخضوع لإرادته.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن نص البيان الذي صدر عن المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، قد جاء فيه مايلي: الكنيسة الكاثوليكية لا ترفض الشيء الصحيح والمقدس في بقية الأديان، وتنظر بإخلاص واحترام للقواعد الحياتية لأصحاب تلك الديانات، ورغم اختلاف تلك القواعد عما تعتقده الكنيسة، فإن تلك القواعد غالباً ما تعكس نور الحقيقة التي يعيشها أولئك الناس.

البيان الثالث: إرشادات وتوجيهات من أجل حوار بين المسلمين والمسيحيين[1]:

صدر هذا الكتاب بالعنوان السابق (إرشادات وتوجيهات) عن الفاتيكان للتعريف بالإسلام، ولتعليم المسيحي كيف يعامل المسلم، وكيف يفهم دينه، وذلك في عام (1975م).

---

(1) انظر: النظام الاقتصادي القرآني (333) ومابعدها. وقد قام بإعداد هذا البيان الصادر عن الفاتيكان: الأب جوزيف كوبوك، ولويس غارديه، بإشراف (بول) كاردينال (ماريلا)، ورئيس ديوان الشؤون غير المسيحية.
وانظر: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (495) ومابعدها.

وقد جاء في مقدمته: نقدم هذا الكرّاس والإرشادات التي من شأنها أن توجه وتقود العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، وهذه الدراسة من غير شك ليست سوى مجرد خطوة أولى، ولنا أمل بأن تأتي ملاحظات أخرى فيما بعد تسمح بالتقدم في حوار إسلامي مسيحي، أكثر شمولاً ووضوحاً.

وفائدة هذه الدراسة تكمن في أنها ليست خاصة بالمسيحيين وحدهم بل هي مهمة مشتركة بين لاهوتين وفلاسفة وخبراء في الحوار، وعلى جميع المستويات، مسيحيين ومسلمين، بحيث يتعين علينا أن نفكر ونعمل من أجل بناء مجتمع دولي إنساني، يشعر فيه كل امرىء بأنه مفهوم من الآخرين، ومحترم محبوب.

ونحن إذ نتوجه هنا بصورة خاصة إلى المسيحيين، لا يسعنا إلا أن نتمنى أن تمهد قراءة هذه الصفحات لحوار حقيقي مع المسلمين، في إطار الإخلاص للحقيقة والصداقة، الأكثر تحرراً من كل هوى.

ويضم هذا الكتاب ستة فصول، وخلاصة، وهذا موجز عن محتويات تلك الفصول:

الفصل الأول: موقف المسيحيين من الحوار:

إن ميزة الحوار ليست في الموضوع في حد ذاته، ولكن في طريقة استقبال الطرف الآخر، من خلال الموضوع.

ويجب ألا يغيب الحوار في المشاكل القديمة التي كانت تشغل أجدادنا، بل يتعين علينا أن نبحث في المشاكل المعاصرة، وهي الإنسان كما هو اليوم، وكما يجب أن يكون، وهذا كله لا يمكن أن يحصل دون أن تكون هناك ـ وقبل كل شيء ـ إرادة للحياة والعيش مع الآخرين، مع الاحتفاظ بالأمانة للدين الذي نحمله في نفوسنا، ويكون ذلك كله بمعرفة اللغات والثقافات الماضية والحاضرة، ومعرفة الظروف الحالية للمعيشة، والآمال من أجل الغد.

ولكن المسلمين ـ ويجب أن نقول هذا بصراحة ـ لم يجنوا من العالم المسيحي سوى القليل من المشاركة الوجدانية.

حيث إن اهتمام الرهبان والراهبات بالعالم الإسلامي من خلال تقديم المساعدات والتعليم كان عملاً جزئياً.

واهتمام المستشرقين بالعالم الإسلامي كان منصباً على النواحي الفكرية.

واهتمام الغربيين بالعالم الإسلامي كان من خلال بنيتهم الاستعمارية.

وباختصار فإن المسيحيين لم يحققوا بمجموعهم هذا الشرط الأساسي، وهو أن يكونوا حاضرين في عالم الإسلام كما هو على حقيقته، ومادام هذا الجهد لم يبذل فلن يكون هناك على المدى البعيد أي حوار ممكن.

والسبيل لتحقيق حضور المسيحيين في العالم الإسلامي يكون بناء على المواقف التطبيقية التالية:

أولاً: استقبال الطرف الآخر:

لقد كان بين المسلمين والمسيحيين في غالب الأحيان ماض من المقاومة والصراع، وكان المجتمعان في أكثر الأحيان منطويين على نفسيهما، وهذا وضع لا يسمح بالحوار، ويجب علينا نحن المسيحيين أن نسعى إلى إزالة هذا الوضع.

ويتم ذلك عن طريق استقبال الطرف الآخر، ولا يعني هذا الاستقبال استقبال الضيافة، بل يعني قبول الطرف الآخر كما هو بثقافته وتاريخه ومشاعره وبُنياته الفكرية.

ثانياً: قبول المسلم كما يريد أن يكون:

لأنه لا يتم استقبال الطرف الآخر إلا في حدود معرفتنا له، فأولى مهمات المسيحي هي محاولة معرفة شريكه المسلم، ليس فقط كما هو، بل كما يحب ويريد المسلم أن تكون هذه المعرفة، ويجب أيضاً أن تكون المعرفة معرفة صديق، لا معرفة اللقاء العادي، ولا يتم ذلك إلا من خلال معرفة ثقافة المتحاورين، ومحيطهم الاجتماعي والثقافي، وتاريخهم، ومسراتهم، وآلامهم.

وتتم تلك المعرفة أيضاً عن طريق المؤلفات في الفلسفة واللاهوت، التي تحدثت

عن النفس الإسلامية، وعن طريق دراسة اللغة، التي تكشف الكثير من طرق التفكير عند الآخرين، وعن طريق اكتساب المعرفة التطبيقية من خلال البيئة، والعلاقات اليومية.

ومن أجل هذا كله لابد عند اللقاء من أن تكون صورة المسلم المرسومة في ذهن المسيحي، صورة المسلم على حقيقته كما هو، لا الصورة المتخلفة الموروثة عن الماضي، أو المعرضة للتشويه بفعل الأحكام المسبقة.

ثالثاً: تحضير النفس لدراسة جدية:

يجب علينا الوصول إلى معرفة كافية بالثقافة الإسلامية، بقيمها الروحية والجماعية، وتاريخها، ومشاكلها المعاصرة.

لأننا كما نتألم عندما نرى المسلم ـ سليم النية ـ يحمل فكرة خاطئة عن المسيحية، كذلك يشتكي المسلم من أن العقل الأوربي يخطىء في معرفته وفهمه، وينزعج منها إلى أقصى حد.

وكل هذا سيؤدي إلى تعقيد الحوار، والوصول به إلى مناقشات عقيمة، فيجب علينا أن نهيء أنفسنا، ونبذل الجهد لمعرفة ودراسة التاريخ والثقافة والقيم الإسلامية، بكل التقدير.

رابعاً: معرفة الأخذ من الطرف الآخر:

كل الأديان عندها شيء يمكن أن تقوله لنا، وتعبثنا به، وتدعونا لإعادة التفكير في طريقة التعبير عن إيماننا، وعند الإسلام ما يساعدنا ـ مثلاً ـ على تنقية إيماننا من المفاهيم التي أدت إلى تشبيه الخالق بالإنسان فأدى ذلك إلى التعتيم على أسرار الألوهية السامية، ويمكن أن يساعدنا أيضاً على إحياء حسن العبادة، أو الاستسلام إلى المشيئة الإلهية من أعماقنا.

وهذه الثروات الروحية تكون نتاج اللقاء مع الآخرين، في جو من المشاركة الوجدانية، التي يفرزها الود بقدر ما يفرزها الاحترام.

وهذا المفهوم من الاحترام يجب أن يقوم على أساس التسليم بأن الإسلام بشكل محسوس هو عون للبشر على أن يتقربوا من الله تعالى.

الفصل الثاني: معرفة قيم الإسلام:

الإسلام بالإضافة إلى كونه ديناً فهو أمة وثقافة وحضارة، تمتد جذوره عبر التاريخ، وهناك إنجازات إسلامية دنيوية مختلفة يجب أن نعترف بها، على أنها حقيقة واقعة.

والعالم الإسلامي حالياً رغم أنه دول مستقلة بعضها عن بعض، ولكنه يشكل في مجمله أمة واحدة، تشعر بشعور واحد، لأنهم يرتكزون على أساس واحد وهو القرآن الكريم.

الفصل الثالث: كيف نتحدث عن القرآن الكريم؟:

القرآن عند كل مسلم هو كلام الله تعالى، ويحظى باحترام كبير عند المسلمين، والمسلم يتألم بشدة عندما يسمع أحداً من الغرب يقول: هكذا قال محمد في القرآن. لأن القرآن في العقيدة الإسلامية هو من عند الله تعالى، وليس من عند محمد ﷺ، وكما قال ماسينيون: إنه إملاء فوق الطبيعة.

والمسلم عندما يقرأ آية قرآنية يمهد لها بقوله: قال الله تعالى.

وطبيعي ألا ينتظر من المحاور المسيحي أن يقول مثل ذلك، ولكننا ننصح بقول المحاور المسيحي: قال القرآن. أو ما شابه ذلك.

والقرآن يقطع دائماً باستمرار السلطة المطلقة لله الواحد الأحد، وحرية الإنسان المسؤول عن أعماله.

الفصل الرابع: رسالة الأنبياء:

يفرد القرآن الكريم صفحات طويلة لأنبياء التوراة، بحيث يأتي نبي مكة ليكمل الرسالة؛ والنصوص القرآنية المتعلقة بالأنبياء، إنما تستهدف ثلاثة أمور:

1ـ إظهار استمرار الرسالة القرآنية مع تراث التوراة.

2ـ تحذير أهل مكة من عصيان النبي الذي أرسل إليهم، كما حصل مع الشعوب السابقة، التي دمرت بسبب رفضها لدعوة الأنبياء.

3ـ إحاطة المؤمنين علماً بالنماذج الكاملة عن الشخصيات الدينية السابقة.

ورسالة الأنبياء المذكورين في القرآن هي نفس رسالة القرآن، والتي تدعو البشر إلى الإيمان بإله واحد، والخضوع لتعاليمه، والاهتداء برسله.

ثم يشرح بعد ذلك كتاب الفاتيكان دور كل رسول، وفق النصوص القرآنية، ويتعرض للخلاف في تعريف السيد المسيح، فهو في الإنجيل ابن الله ـ تعالى ـ، وفي القرآن نبي الله، وكلمة الله، وروح من عند الله، ثم يذكر الكتاب تاريخ المسلمين إلى العهد العثماني، وبعدها يعود ثانية إلى موضوع الحوار.

الفصل الخامس: كيف نهيء أنفسنا للحوار؟:

الحوار بالنسبة إلينا شيء أساسي، تمتد حدوده في أعماق ثقافتنا وعقيدتنا. وهناك بعض العقبات التي تقف في وجه الحوار والتفاهم مع الآخرين، وهي لائحة طويلة من نقاط الخلاف، والأحكام المسبقة، والمظالم التي أثارت في الماضي تلك السلبيات بين المسلمين والمسيحيين، والتي ما تزال تضغط بثقلها على علاقاتنا بدرجات مختلفة.

وإن نص المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني المتعلق بالمسلمين يطالب بتجاوز خلافات الماضي، والتحول إلى المستقبل، من أجل التفاهم المتبادل، ولحماية العدالة الاجتماعية، والترويج لها بالنسبة لجميع البشر، وكذلك القيم الأخلاقية والسلام والحرية.

وهذه العبارات التي صدرت في بيان المجمع أثارت اهتماماً كبيراً عند المسلمين، ولذلك إذا أردنا أن ننسى الماضي فمن المفيد أن نعرف الأحكام المسبقة، ونقاط عدم التفاهم، حتى نحاول إزالتها لتكون مبادرتنا للحوار مقبولة عند المسلمين.

الفصل السادس: الاعتراف بمظالم الماضي:

مرت في بعْض مراحل التاريخ بين المسلمين والمسيحيين فترات زمنية سعيدة من التعاون الإسلامي مع الغرب المسيحي.

ولكن هذه الفترات لا يمكن أن تزيل من أذهان المسلمين أن المسيحيين هم السبب في تعطيل انطلاقة حضارتهم، أولاً عن طريق الحملات الصليبي، والتي تسببت في إنهاء ألمع حقبة من التاريخ الإسلامي، وثانياً عن طريق الاستعمار الغربي، الذي يشكو منه المسلمون في إعاقته لنهضتهم التي بدأت بأخذ مكانها في القرن التاسع عشر.

ولقد استيقظ هذا الحقد مرة واحدة في السنوات الأخيرة، خلال معارك التحرير، فلم تبق مجلة أو صحيفة أو زعيم سياسي أو ديني، إلا وربطوا جميعاً بين ذلك الماضي البعيد، وبين الأحداث الحالية، وهذا الربط بالنسبة إليهم هو أحد الحجج العاطفية لوضع الشرق في مواجهة الغرب.

وهذا الشعور حي عند العرب أكثر من بقية الشعوب الإسلامية، لأنهم تعرضوا للحملات الصليبية بشكل مباشر.

وهناك قضية خطيرة، وهي قضية [مايسمى] دولة إسرائيل. إننا نعرف كم تثقل هذه القضية على العالم العربي في الشرق الأوسط خصوصاً، والأمة العربية عموماً، ونعرف بالتالي ما هي المسؤوليات الملقاة على عاتق الغرب في هذه القضية.

ولكننا هنا لسنا في صدد تشريع سياسة، فإذا حدث وأثيرت هذه القضية في اتصالاتنا مع المسلمين، فإنه من الأفضل ألا نصدر أي حكم، إلا على أساس المحبة والعدالة والكرامة.

ونحن ـ وبدون أي شك ـ لا نملك وسائل لحل هذه القضية المستعصية ـ قضية فلسطين ـ، ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نقف إلى الجانب الأكثر تألماً، وأن نعرف عن المشاركة الوجدانية، التي يجب ألا تقوم على الكلمات وحدها.

ويجب علينا أيضاً أن نعترف شرعياً بالتجاوزات التي ارتكبها الغرب، وأن نبرهن على أننا قد قطعنا ارتباطنا بذهنيات الماضي.

فالمسلمون مقتنعون بأن المسيحيين إذا أحبوهم أفراداً، فليس معنى ذلك أن يقدرونهم أو يحبونهم على أنهم أمة.

ولذلك وحتى نبرهن على أننا قطعنا علاقتنا بذلك الماضي الذي سبب في إنشاء حفرة بين الشرق المسلم، والغرب المسيحي، يجب أن نهتم بالشخصية الاجتماعية للشعوب الإسلامية، وأن نهتم بمشاكلهم الدينية والاجتماعية، مع عرض الحلول لها على طريقتنا، ويجب أن نصل إلى احترام الإسلام نفسه، بما يحمله من قيم روحية عظيمة.

وبهذا كله نتجاوز الموقف السياسي للصليبيين، والعقبات الاستعمارية، إلى مواقع أكثر سلامة، ولعل هذا الموقف العادل للمسيحي، سوف يقود المسلم إلى اكتشاف ماهية الكنيسة.

ثم يعرض الكتاب قضية التوحيد عند المسلمين، وأنها نفسها عند اليهود والمسيحيين، ويستشهد بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 1ـ3].

ويوضح بعض نقاط التقارب بين المسلمين والمسيحيين، في عدة مواقف ووصايا بين القرآن والتوراة والإنجيل.

الخلاصة:

وكان مما جاء فيها:

لا نكون قد اعترفنا بالإسلام حقيقة إذا لم نعتبره عقيدة دينية قبل كل شيء.

ولا يمكن أن نلتقي المسلمين حقيقة إذا لم نكتشف فيهم القيم الروحية التي تنظم حياتهم.

فإذا قبلنا أن نمارس الحوار من خلال هذه الرؤية، فلا يكون المسلم الذي نلتقيه ـ في تصورنا ـ ذلك الخصم، ولا ذلك المنافس لمشاريعنا، وإنما يكون رجل العقيدة والإيمان، الذي يمتثل لمشيئة الله حتى الرمق الأخير، وعندئذ نكون قد اكتشفنا أخاً في هذا المؤمن، وهذا كله سوف يغير كلياً نظرتنا إلى العالم الإسلامي، ويفتح لنا أخيراً أبواب الحوار الحقيقي.

البيان الرابع : خطوط عامة لحوار إسلامي مسيحي مخلص[1]:

صدرت هذه الدراسة عن الفاتيكان عام (1978م) وتتضمن النقاط التالية :

(أ) ـ الصدق والإخلاص لأديانا أثناء الحوار :

1ـ المسلمون والمسيحيون يؤمنون بالوحي السماوي، وأن الله تعالى هو الذي أنزله، كما جاء في القرآن والإنجيل.

2ـ يجب أن يبقى كل من المسلمين والمسيحيين على دينهم أثناء الحوار، فلا يحق لطرف أن يجبر الطرف الآخر على اعتناق دينه.

3ـ ليس الهدف من الحوار استغلال الخلافات القائمة بين ديننا، ولا السكوت عن تلك الخلافات، بل يجب معالجتها بكل صدق وإخلاص.

4ـ يجب خلال الحوار تحديد مواطن الخلاف بين الدينين لمعالجتها.

(ب) ـ كيف نعطي الصورة الصحيحة لديننا؟ :

أي ما يسمى التمثيل الصادق، فعندما تأسست فرق الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وخلال عدة لقاءات، كان الاتفاق على أن التعاون والمشاركة سيكون على أساس العلاقة الفردية بين المتحاورين، أي إبراز الصفات والخصائص الشخصية لكل متحاور، بغض النظر عن المكانة الدينية أو السياسية.

(ج) ـ القدرة على تلقي النقد من الآخرين :

1ـ لأن تقبل النقد هو سمة أساسية من سمات هذا العصر، ولذلك يجب أن تكون لدينا القدرة والتحمل على تلقي نقد الآخرين مؤمنين وغير مؤمنين.

2ـ نقبل أن تكون لدى كل مشارك في الحوار معرفة كافية ببقية الأديان، من خلال دراسته الشخصية، ليستطيع نقدها، ويجب أن يكون الحوار على مستوى التفكير المعاصر، لأن المسيحية والإسلام أديان حية.

---

(1) انظر : Dialogue between Christians and Muslims (2/21).

(د) ـ **لا يحق لأحد منا أن يفتخر على الآخر بدينه الذي يعتنقه، ويجب ألا يبقى** اعتناق المسلمين والمسيحيين لأديانهم خاصاً بهم، بل يجب عليهم مشاركة الآخرين في هذا الدين.

(هـ) ـ **أخوتنا في الإيمان:**

بسبب أن الإيمان بالله في هذا العصر يواجه تحديات كبيرة، فهذا يفرض علينا التآخي والتعاون فيما بيننا.

(و) ـ **غياب صوت اليهودية**، وأصوات الأديان والعقائد الأخرى، وهذا يدفعنا إلى محاولة إشراك الجميع في هذا الحوار، وليس الاقتصار على الإسلام والمسيحية فقط.

المبحث الثاني

موقف مجلس الكنائس العالمي من الحوار الإسلامي المسيحي

تأسس مجلس الكنائس العالمي في أمستردام في السويد عام (1948م)، ومقره الرئيس في جنيف سويسرة، وهو هيئة دينية دولية متعددة الطوائف، يضم كل الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية، التي لا تتبع لسلطة البابا في الفاتيكان[1].

وفي عام (1968م) انبثقت عن المجلس (اللجنة الفرعية لمجلس الكنائس العالمي للحوار والتعايش بين الديانات الحية)، وذلك في (كنتربري ـ لندن)، فقامت هذه اللجنة بتوضيح موقف المجلس من الحوار مع المسلمين، وأسسه، وأهدافه، وهي التي رعت الكثير من مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي، كما سبق عرضه في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث[2].

وهذا عرض موجز لأهم الأسس التي وضعتها اللجنة الفرعية للحوار والتعايش بين الديانات الحية:

---

(1) انظر: موسوعة السياسة (6/ 49).

(2) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (1/16)

أولا: دليل سياسة مجلس الكنائس العالمي[1]:

وُضع هذا الدليل ليشرح سياسة مجلس الكنائس العالمي المستقبلية حول اللقاء بين المسلمين والمسيحيين، وذلك من خلال اجتماعات المجلس التي عقدت في أديس أبابا ـ عاصمة أثيوبية، خلال الشهر الأول من عام (1971م).

وقد تضمن هذا الدليل الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: الخطوط العامة للسياسة المرحلية للمجلس:

(1) ـ هدف مجلس الكنائس العالمي في الوقت الراهن هو بناء علاقات مع كافة الأديان والعقائد، في سائر بلدان العالم.

(2) ـ الدافع الرئيس لبناء العلاقات، والدعوة إلى اللقاء والحوار هو الإيمان بالمسيح.

(3) ـ تحقيق أهداف المجلس التي صيغت له في بداية تأسيسه عام(1948م).

(4) ـ تعايش الكنيسة المسيحية عبر قرون طويلة مع عدة أديان وعقائد يدفع إلى إقامة هذه العلاقات، وإجراء هذه الحوارات.

الفقرة الثانية: الموضوعات التي يجب دراستها للدخول في الحوار:

(1) ـ يجب على المسيحيين أن يدخلوا ساحة الحوار وهم يحملون معهم بوضوح تام عقيدتهم، بحيث يظهر أن منطلقهم في الحوار هو اعتقادهم بألوهية المسيح، وفضله عليهم.

(2) ـ ويجب أن يشمل الحوار كل أبناء الإنسانية، وكافة الأديان والعقائد والملل، ويكون الهدف منه توضيح أن الكمال موجود في شخصية المسيح، روحياً ومادياً.

(3) ـ يجب ألا ينحصر الحوار في القضايا والجوانب الفكرية والعقائدية بل ينبغي

---

(1) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (2/16)

أن يشمل أيضاً كل الجوانب العملية، من أجل التعايش، والحياة المشتركة.

(4) ـ الحوار هو وسيلة لإنشاء علاقات جديدة مع غير المسيحيين، وأيضاً من أجل اكتشاف قيم ومفاهيم جديدة في عقيدة المسيحيين.

(5) ـ عدم التزام الحوار بنمط واحد:

ويتضمن هذا الجانب نقطتين:

ـ **النقطة الأولى**: يجب أن يكون الحوار على جميع المستويات: المحلية والوطنية والدولية، ويجب أن يبقى الحوار مستمراً في كل الأحوال، شرط أن يكون لكل مستوى من الحوار أهدافه ومواضيعه.

ـ **النقطة الثانية**: إن مواضيع الحوار تختلف بسبب اختلاف البشرية، ولذلك لا يمكن وضع ضوابط محددة له، قبل معرفة هذه المواضيع، وغالباً ما تدور المواضيع حول مايلي:

أ ـ الحوار من أجل التعاون، وخدمة البشرية.

ب ـ الحوار من أجل تحسين العلاقات بين مختلف الأديان.

ج ـ الحوار من أجل نشر المسيحية بين الشعوب والثقافات الأخرى.

(6) ـ الحرية في الحوار: ويقصد بها أن يفهم كل طرف محاوِر بقية الأطراف المحاوِرة الأخرى، كما يفهم نفسه، وأيضاً حرية الالتزام بالعقيدة، واحترام عقائد الآخرين.

(7) ـ هناك اختلاف في مفهوم الحوار، والهدف منه، بين الكنائس المسيحية، ولذلك يجب توحيد مفهوم الحوار بين هذه الكنائس.

(8) ـ الأسس العقائدية للحوار: يجب أن يكون الحوار مبنياً على أساس أننا نجتمع لحل مشاكلنا الخاصة، ولأجل أن نخدم ديننا، ولأجل أن نفكر في كيفية إنقاذ البشرية، والذي لن يتم إلا بالإيمان بالمسيح كمخلّص.

(9) ـ الاختلاف الذي يجري بين الكنائس المسيحية هو أحد العقبات الكبيرة أمام انتشار المسيحية في العالم، وأيضاً أمام الحوار.

(10) ـ الحوار ضروري ومهم بالنسبة للمسيحيين، حتى يستطيعوا أن يتفهموا أناجيلهم أكثر، وما هو المقصود منها، وحتى يستطيع المسيحي، أن يعبر عن عقيدته ودينه ضمن إطار الأناجيل.

الفقرة الثالثة: التوصيات التي يجب تنفيذها من أجل الحوار:

(1) ـ يجب على الكنائس التابعة لمجلس الكنائس العالمي أن تبدأ بإعداد الفرق لتتحمل مسؤولياتها في الحوار، في أرجاء العالم، وإذا كانت هذه الفرق موجودة حالياً، فيجب السعي إلى تحسين مستوياتها من الخبرة.

(2) ـ يجب على الكنائس التابعة لمجلس الكنائس العالمي تطبيق مايلي:

أ ـ إعداد المسيحي في كل المراحل الدراسية ـ المدارس والمعاهد والجامعات ـ ليستطيع فهم العقائد الأخرى.

ب ـ بناء العلاقات الإيجابية مع أقسام الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد، التي تهتم بدراسة الأديان.

ج ـ إعادة النظر في أساليب التعليم الماضية ضمن الكنائس، والكليات، والدورات.

د ـ إجراء دورات تعليمية خاصة بأبناء الكنيسة الذين سيذهبون إلى خارج بلادهم، ليستطيعوا الحوار والتبشير بالمسيحية بين الأديان الأخرى.

(3) ـ يطلب من مؤسسة (بوسي) ـ وهي مؤسسة خاصة بإعداد المبشرين ـ أن تقوم بإعداد وتدريب بعض الأشخاص من حين لآخر، ليقوموا بالحوار مع الأديان الأخرى، وأن تستخدم لذلك كافة الإمكانيات المتوفرة لديها.

ويجب التنبيه إلى ضرورة التعاون مع المؤسسات الكاثوليكية التي عندها اهتمامات بالحوار مع الأديان والعقائد الأخرى.

(4) ـ يجب تنظيم لقاءات حوار دروية بين المسيحيين والأديان الأخرى، لأجل دراسة المواضيع السابقة، والأفضل أن تكون اللقاءات بين المسيحية وبين كل دين على حدة.

(5) ـ موضوع انتقاء المشاركين في مؤتمرات الحوار والبرامج الخاصة بها:

أ ـ يجب ألا يضع مجلس الكنائس العالمي برامج أعمال مؤتمرات الحوار مع الأديان الأخرى، بل الواجب أن تكون هذه البرامج مفتوحة للأسئلة، وأمام الاقتراحات، بحرية تامة.

ب ـ يجب جمع المعلومات حول الديانات الموجودة في العالم، وكذلك عن المؤسسات التابعة لها، لأجل أن تساهم كلها في الإعداد للحوار.

ج ـ يجب أن يكون الحوار مع الأديان الأخرى لأجل حل مشاكل البشرية، وعرض المواضيع المهمة، مثل: العدالة، التطور، السلام، وذلك على المستويات المحلية والعالمية.

والمشاركة في هذه المواضيع سوف تتيح للمسيحيين معرفة آفاق واسعة عن الأديان الأخرى.

د ـ عندما ينظم مجلس الكنائس العالمي الاجتماعات والمؤتمرات المتعلقة بالسلام، والعدالة، والتعليم، ومستقبل الإنسانية، يجب دعوة ممثلين الأديان الأخرى، لأجل المشاركة الفعلية في الإعداد.

ثانياً: قوانين ممارسات المسيحيين خلال الحوار[1]:

وضعت هذه القوانين ضمن دراسة قدمها (د. براون) في لندن عام (1976م)، إلى مجلس الكنائس العالمي، وتشتمل على النقاط التالية:

(1) ـ يجب ـ عند حضور المسيحيين إلى الحوار ـ أن يكون واضحاً للجميع أن المسيحيين هم عُبَّاد المسيح، وقد جاؤوا إلى الحوار ليشاركوا في الحقيقة التي جاء بها المسيح.

(2) ـ يجب أن يوضح المسيحيون في الحوار أن الله حاضر معهم في العالم، ويعمل معهم لأجل جذب الإنسانية إلى المسيح.

---

(1) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (2/20)

(3) ـ من أحد المبادىء الرئيسة للمسيحيين أثناء الحوار أن يعترفوا بفضل المسيح عليهم، ولذلك يجب عليهم شكر الله تعالىٰ.

(4) ـ يجب على المسيحيين المشاركين في الحوار أن ينتبهوا لكل نقد يوجه إليهم، وان يعملوا من أجل الدفاع عن المسيحية. وأيضاً أن يوجهوا اهتماماتهم إلى المسلمين الذين ينقضون الإنجيل، لأجل الرد عليهم.

(5) ـ ومع كل الحالات السابقة، يجب على المسيحيين المشاركين في الحوار أن لا يتراجعوا عن الحوار، لأن المسيح أب للجميع، وهم يستطيعون استيعاب الجميع بسعة الصدر، والمحبة، والشفقة.

ثالثاً: الخطوط العامة المقدمة إلى الكنائس للدراسة والتطبيق[1]:

وضعت هذه الدراسة في اجتماع مجلس الكنائس العالمي في جزر جامايكا في أمريكة، عام (1979م).

وقد تضمنت الفقرات التالية:

الفقرة الأولى: قضية التعليم والتفاهم في الحوار:

(1) ـ يجب على الكنائس المسيحية أن تبحث عن أكبر قدر ممكن من الطرق والوسائل للاتصال والوصول إلى الأديان الأخرى.

(2) ـ يجب التخطيط بشكل مسبق للحوار بين المسلمين والمسيحيين.

(3) ـ يجب على المشاركين المسيحيين في الحوار، أن يجمعوا ـ في دراستهم للمواضيع المطروحة ـ بين وجهة النظر الدينية، ووجهة النظر الثقافية والعلمية.

(4) ـ لكل المشاركين في الحوار حرية تامة في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم.

(5) ـ يجب أن ينتهي الحوار إلى توليد أفكار ثقافية جديدة وإبرازها.

---

(1) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (2/26)

الفقرة الثانية: المشاركة والتعايش في الحوار:

(1) ـ يصبح الحوار مهماً، وذا فائدة، عندما يشارك كل طرف فيه بفاعلية، وجهد أكبر.

(2) ـ يجب أن تشارك في الحوار كافة المؤسسات الاجتماعية.

(3) ـ يجب على أطراف الحوار، والمشاركين فيه، عدم إقحام وفرض عقائدهم بقوة أثناء الحوار.

(4) ـ يجب الاحتراس خلال الحوار من التعصب للدين، أو الثقافة الذاتية التي يحملها أطراف الحوار.

(5) ـ هناك سؤال يطرح نفسه، وهو: لماذا لا توجد مشاركة من قبل الجميع في الأعياد والطقوس والعبادة عند الآخرين.

الفقرة الثالثة: موضوع التخطيط للحوار:

(1) ـ يجب التخطيط والتنسيق للحوار بشكل جيد ومسبق، حسب الإمكانيات المتاحة.

(2) ـ يجب أن يكون التخطيط للحوار على المستويين المحلي والعالمي.

(3) ـ من عوامل نجاح الحوار مشاركة كافة المنظمات والهيئات الدينية العالمية، فهناك مؤسسات دينية كثيرة، لها أهداف متعددة، منها: الكفاح من أجل السلام العالمي، والعدالة في المجتمعات.

المبحث الثالث

دراسة تقييمة للحوار الإسلامي المسيحي، وأهدافه، ومحاذيره من وجهة نظر مسيحية

سيعرض هذا المبحث دراسة مسيحية بحتة، هدفها تحليل الحوار الإسلامي المسيحي من قبل المسيحيين أنفسهم، ولذلك فإن كل الأفكار التي ستُورد فيه إنما هي أفكار مسيحية، ليس فيها أي تدخل من قبل الباحث.

قدمت هذه الدراسة إلى المؤتمر التبشيري الذي عقد بتاريخ (15/ 5/ 1978م)، في مدينة (جلين آيري)، بولاية (كولورادو) في الولايات المتحدة الأمريكية. تحت رعاية «منظمة التصور العالمية الدولية»، ومساعدة «لجنة التنصير في لوزان» بسويسرة.

وكان الهدف الرئيس من عقد هذا المؤتمر هو دراسة السبل الكفيلة لتنصير المسلمين في كافة أنحاء العالم، تحت شعار: «إن الرب الذي هو مخلص الناس جميعاً، شاء علينا تخليص وتنصير الألوف المؤلفة من المسلمين، وأن نجعلهم يؤمنون أن المسيح هو رب الجميع»[1].

وقد تقدم بهذه الدراسة الباحث (دانيل آر بروستر)، تحت عنوان: (الحوار بين النصارى والمسلمين، وصلته الوثيقة بالتنصير). حيث تضمنت هذه الدراسة تسع نقاط، هذا موجز عن كل منها[2]:

جاء في المقدمة مايلي: أصبح الحوار مصطلحاً مهماً في العلاقات المسيحية الإسلامية، وبخاصة بعد مشاركة مجلس الكنائس العالمي في حواره مع المسلمين، منذ عام (1960م) وقد أصدر المجلس مطبوعات توثق هذا الحوار.

---

(1) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري، عام (1978م)، (ص1) ومابعدها.

(2) انظر: المرجع السابق (ص768).

وكانت هناك غزارة في النقد الذي وجهه المنصرون ـ إلى مجلس الكنائس ـ على هذا الأسلوب من العمل وهو الحوار مع المسلمين، ولذلك ستحاول هذه الدراسة ـ دراسة بروستر ـ أن تجيب عن بعض التساؤلات حول وظيفة الحوار، وملائمتها للمنصرين، الذين تعهدوا أن يعملوا على تنصير المسلمين.

النقطة الأولى: المستويات الثلاثة للحوار[1]:

شارك مجلس الكنائس العالمي بثلاثة مستويات من الحوار، وهي:

ـ **المستوى الأول:** تفكير مسكوني بين المسيحيين أنفسهم، حيث عقدت عدة مؤتمرات لدراسة مبادىء الحوار من قبل المسيحيين، مثل: برمانا ـ لبنان، عام (1966م)، وكاندي عام (1967م) وزيوريخ عام (1970م)، وأديس أبابا عام (1971م).

ـ **المستوى الثاني:** لقاء فعلي مع المسلمين، حيث اجتمع ممثلون عن مجلس الكنائس العالمي مع المسلمين، أو مع المسلمين إضافة إلى ممثلين عن أديان أخرى، مثل لقاء كارتفني عام (1969م)، ولقاء واجالتون عام (1970م)، ولقاء كولومبو عام (1974م)، وغيرها.

ـ **المستوى الثالث:** المحاورة الفعلية: حيث رعى مجلس الكنائس العالمي مشروعات بين الطوائف للمساعدة والتطوير.

النقطة الثانية: الدور المتغير للحوار[2]:

لقد تغير مسار الحوار الذي سلكه مجلس الكنائس العالمي، خلال عدة لقاءات، ففي مؤتمر دلهي الجديدة في الهند، عام (1961م)، كان الحوار وسيلة مفيدة للتنصير.

ولكن في مؤتمر أبسالا، عام (1968م)، نقل الحوار خارج محيط التنصير، وأصبح جزءاً من التزام مسيحي أكثر عمومية، واستمراراً في عالم تسوده معتقدات متعددة، بحيث لم يكن هناك تركيز على تميز واستثنائية العقيدة المسيحية، وظهر هذا

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص768).

(2) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص769) ومابعدها.

في مجال اهتمامات المتحاورين، التي شملت:

1ـ الكتاب المقدس، والديانات غير المسيحية.

2ـ الحوار مع المعتقدات والديانات الحية.

ثم ازدادت التغيرات على مسار الحوار، حيث اعتبر التنصير في مؤتمر ليكون، عام (1974م)، مجرد إدراك متبادل متزايد حول وجود الرب في مواجهة يكون فيها كل واحد مسؤولاً عن الآخر.

وهناك من دافع عن هذه التصريحات التوفيقية [أي: التوفيق بين الأديان والعقائد] بأنه لا مجال في الحوار لإصدار حكم، لأن إصدار الحكم يعني أن يصبح المرء محاوراً عدوانياً، يهاجم معتقدات الآخرين.

ولذلك هنا سؤال: هل يستطيع الحوار الذي حدده مجلس الكنائس العالمي في مؤتمر دلهي الجديدة كأسلوب للتنصير غير ملائم من البداية.

لقد أصبح الهدف الأساسي لمجلس الكنائس العالمي من خلال الحوار هو البحث عن وحدة الجنس البشري، بين أناس لهم معتقدات وثقافات متعددة.

وأصبح الهدف أيضاً: البحث عن فهم لمعتقداتنا الخاصة في مضامينها التاريخية والثقافية.

النقطة الثالثة: نتائج الحوار[1]:

ظهرت عدة مواضع للاتفاق بين المسلمين والمسيحيين، خلال لقاءات مجلس الكنائس العالمي مع المسلمين، وهذه المواضع تثير قلق المنصرين.

فقد اتخذت مؤتمرات مجلس الكنائس العالمي مواقف قوية ضد تحويل الناس عن أديانهم إلى معتقدات جديدة، حيث أكد بيان (شامبيس) لعام (1976م) حرية الإقناع والاقتناع.

ويبدو هذا مناقضاً لبيانات أخرى صدرت عن مؤتمري كولومبو، وليكون، وغيرهما، حيث ساوت تلك البيانات بين الإدخال في دين جديد، وبين الجهود

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص770) ومابعدها.

القسرية، والواعية، والمتعمدة، لجذب الناس من مجتمع ديني إلى آخر.

ويوافق المنصرون على أنه لا يجب أن يتم تحويل الإنسان من دين إلى آخر بالقوة، ولكنهم [أي: المنصرون] يشعرون بضرورة: الإجبار على الدخول في المسيحية[1].

ويشرحون هذا بأن التنصير هو تحويل الناس ـ مثلاً ـ من رؤية الأرض مسطحة إلى رؤية الأرض مستديرة. ويصل المنصرون إلى العرض التالي: لماذا لا نقول للمسلمين: أنتم بالتأكيد تحاولون تحويلنا عن ديننا، ونحن سوف نحاول تحويلكم عن دينكم، فليفز الرجل الذي لديه حقيقة أكثر.

وبوجود أمثال هذه الآراء المتضاربة يجب التساؤل: ما هو الفرق بين التنصير، وبين الإدخال في دين آخر؟ وما مدى شرعية كل منهما؟

وهناك اعتراض أثير حول لقاء جرى بين مجلس الكنائس العالمي والمسلمين، حيث بحث موضوع التنصير من خلال المساعدات الطبية، والمعونات، والتعليم الديني، إذ جاء في بيان مؤتمر ليكون، عام (1974م): إن مثل هذا النشاط يعتبر ضلالة دينية، واستغلالاً لضعف الآخرين.

وهناك اعتراض آخر حول توفير التعليم المسيحي للأطفال الذين هم طيعون وسريعو التأثر، بحيث صنف هذا العمل المسيحي تحت الإكراه في الدين.

وأبدى المشاركون في مؤتمر برمانا، عام (1972م)، ومؤتمر شامبيس، عام (1976م) اعتراضاً قوياً على الوكالات الأجنبية التي تقدم المساعدات، والإغاثة، وتقترن تلك المساعدات بالجهود التنصيرية.

وذهب مؤتمر شامبيس إلى أبعد من ذلك حين حث الكنائس المسيحية، والمؤسسات الدينية على تعليق أنشطتها، التي يساء استخدامها في العالم الإسلامي، لتنظيف جو العلاقات الإسلامية المسيحية.

ومثل هذه النصيحة مقلقة للمنصرين، وبخاصة وأن عدداً من الوكالات تخصص

---

(1) كلام واضح التناقض.

البرامج الطبية، والتعليمية، والإغاثة، لفتح أبواب التنصير.

وإضافة إلى الموضوعات السابقة المقلقة للمنصرين، فهناك موضوع أكثر إقلاقاً وهو مفهوم المحاورة الذي أتقنه مجلس الكنائس العالمي، وهو: أن المحاورة التي تتم بأمانة وصراحة، وبدون عداوة، أو حلول مسبقة، قد تقود إلى كسب المسيحي إلى جانب المسلم، مثلما هو شرعي أن يتم كسب المسلم إلى جانب المسيحي.

فإذا كانت طبيعة الحوار قد تعني تحول المسيحي إلى الإسلام، فإن هذا الحوار يرفضه المنصرون.

والمنصرون يصرون على أن الحوار إذا أخذ شكل التنصير الحقيقي، فإنه لن يصل إلى نقطة يقول فيها المسيحي للرجل: إنني ضال مثلما أنت ضال.

النقطة الرابعة: فائدة مصطلح الحوار[1]:

إن الحوار بالمفهوم السابق يعني أن هناك خطراً جدياً، وهو افتقاره إلى رؤية الهدف، الذي هو كسب الرجال والنساء إلى صف المسيح.

ولكن المنصرين يعترفون أن مجلس الكنائس العالمي ـ بالرغم مما سبق ـ قد قدم شيئاً جديداً، وهو تحديد مواضع الخلاف والاتفاق.

ولذلك يجب في ضوء هذه الحقائق طرح الأسئلة حول صحة ووظيفة الحوار باعتباره أداة للتنصير.

ويرى كثير من المنصرين أن الحوار ـ بالمفهوم السابق ـ يتضمن تسويات لا يمكن الدفاع عنها.

ومن جانب آخر فإن الحوار من حيث هو وسيلة لكشف معتقدات وحاجيات شخص آخر، يعتبر بداية شرعية للتنصير، ولذلك لا يمكن للمنصرين انتقاد الحوار بهذا المفهوم.

والسؤال: كيف نفهم هذا المصطلح: الحوار؟ ونخطط لاستخدامه؟ هذا إذا كان مسموحاً لنا خلال الحوار السعي لاستمالة الأشخاص إلى وجهة نظر أخرى.

---

(1) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص772).

فإذا كان ذلك مسموحاً لنا، فإن الأسئلة القادمة يجب أن تتركز حول وظيفة الحوار في عملية التنصير.

وإذا كان غير مسموح لنا، فيجب التساؤل: كيف يستطيع المنصرون الاتصال بالمسلمين، لتأسيس قاعدة تنصيرية لهم؟

النقطة الخامسة: مواقف المنصرين تجاه مجلس الكنائس العالمي[1]:

يجب على المنصرين اكتشاف المواقف التي يجب أن يتخذوها تجاه جهود مجلس الكنائس العالمي في حواره مع المسلمين، ويجب مراعاة البيئات التي يعمل بها المجلس.

فالبيانات ـ مثلاً ـ التي قدمت للصحافة بعد مؤتمرات الحوار، تمت الموافقة عليها ـ عادة ـ من قبل جميع المشاركين. فهل يجب علينا أن نكون متسامحين حول هذه البيانات الملطفة، والخاصة بموضوع الإيمان الديني، والممارسات، وذلك في ملخصات (الإتفاقيات) و (الأرضية المشتركة).

وبالمقابل فإن تقارير مثل التي كتبت في (المجلة العالمية للتنصير) ليست معدة ليقرأها المسيحيون فقط[2]، ألا يجب علينا إذن أن نسلم بالحقيقة، وهي أن المتمسكين بالعقائد الأخرى سوف يقرؤون أيضاً هذه التقارير.

وقد يؤدي هذا إلى خيانة ثقة المشاركين في الحوار، الأمر الذي يمنع عملياً إجراء أية محادثات أخرى معهم.

فهل يجب علينا تقييم عمل مجلس الكنائس العالمي الخاص بالحوار مع المسلمين، فقط ضمن الأهداف التي رسمها المجلس لنفسه؟ فهم يقولون [أي: مجلس الكنائس]: إن الهدف من الحوار ليس كسب عدد معين من الناس إلى المسيح، بل الوصول إلى فهم أكثر، واحترام أكبر.

---

(1) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (773).

(2) يبدو أن هذه التقارير تخالف البيانات التي تصدر عقب مؤتمرات الحوار بين مجلس الكنائس والمسلمين.

وهنا نتساءل: هل تحقق هذا الفهم الأكثر، والاحترام الأكبر؟!..

النقطة السادسة: الملائمة الثقافية للحوار[1]:

إن الحوار وسيلة عامة لتقديم القضايا ضمن محيطات ثقافية معينة، ولذلك فإن أهداف مجلس الكنائس العالمي من الحوار تبدو غير مكتملة.

فنحن لا نريد حواراً من جانب واحد، لدرجة يحجب فيها الاحتمال الذي يعتمد على أن الحوار يمكن أن يكون طريقة ملائمة جداً في بعض الثقافات، حتى لتقديم الموضوعات التلخيصية في الكتاب المقدس.

وإن خطر الحوار ـ سواء كان ذلك بسبب طبيعته، أو استخدامه ـ هو أن دعوة المسيح قد لا تُخرج إلى السطح أبداً، فهل من الضروري إذن أن نخلص إلى أن الحوار في حد ذاته ـ حتى إذا كان ملائماً ثقافياً ـ لا بد وأن يمثل تنازلاً عن هدف المرء التنصيري، ومن ثم يكون غير مقبول جزءاً من منهجية المنصرين.

النقطة السابعة: الحوار في عملية قرار التحول إلى دين آخر[2]:

إذا خلص المنصرون في إجابتهم على الأسئلة السابقة إلى أن الحوار ربما لا يزال أداة مفيدة على الرغم من سمعته، والمشاكل المتعلقة به، فإننا سوف نسأل: ماذا ستكون وظيفته؟ وما هو الجواب الذي يطلب أن يؤديه الحوار؟

وهنا من المفيد إلقاء نظرة على مقياس (اينكل)، وهو واحد من عدة نماذج لعملية اتخاذ القرار [قرار التحول من اللامسيحية إلى المسيحية].

ويساعد هذا النموذج على إدراك أن التحول إلى المسيحية يتضمن اتخاذ عدد من الخطوات قبل أن يقبل الناس فعلياً المسيح، وهذه هي الخطوات الموضحة في قرار التحول ضمن مقياس (اينكل):

(ـ7) لا إدراك بالمسيحية.

(ـ6) إدراك بوجود المسيحية.

---

(1) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص773).

(2) انظر: التنصر خطة لغزو العالم الإسلامي (ص774).

(ـ5) بعض المعرفة بالكتاب المقدس.

(ـ4) فهم مبادىء الكتاب المقدس الأساسية.

(ـ3) إدراك التضمينات الشخصية [الأمان الذي يحتاجه الإنسان بحياته].

(ـ2) إدراك الحاجة الشخصية. [أي للمسيحية].

(ـ1) التحدي والقرار بقبول المسيح.

(+1) التحول.

(+2) تقييم القرار.

(+3) الاندماج في الزمالة المسيحية.

ويوجد قليل من الاختلاف على أن الحوار أداة مفيدة في المواجهات الأولية لتأسيس صداقات، وعلاقات، وتفاهم، على الرغم من وجود الاختلافات.

واستناداً إلى المقياس السابق فسوف يتضح أن الحوار قد يكون مفيداً في جعل الناس يدركون مبادىء الكتاب المقدس الأولية، وفي جعل الناس ـ رجالاً ونساءً ـ يفهمون التضمينات الشخصية، وحتى في جعل الناس يدركون الحاجة الشخصية للمسيحية.

ولكن وبما أن مصطلح الحوار يعني الأخذ والعطاء معاً، فهل يمكن أن يتم التحدي الحقيقي للشخص ليقبل المسيح في المحيط الذي نسميه الآن (الحوار)، أو أنه يجب أن يتم في محيط يتبعه؟.

وهل يمكن أن يكون الحوار بديلاً عن الإعلان والدعوة المباشرة الصريحة؟ أو أن فائدته مقصورة على فترة ما قبل التنصير؟ أي أنه أداة لتحريك الناس ليكونوا أقرب إلى النقطة التي تكون فيها المسيحية هي الخيار الحقيقي؟

وبالنسبة لنفس الموضوع: هل يجب علينا أن نطلب من المشاركين المسيحيين في الحوار أن يبينوا الأعداد التي كسبوها إلى صف المسيح، لإثبات صحتها؟

وكيف نقيم بياناً يذكر أننا قد حركنا عدداً معيناً من الناس باستخدام أسلوب الحوار من (ـ7) إلى (ـ2)؟

النقطة الثامنة: المنصرون في حوار عملي[1]:

انهمك مجلس الكنائس العالمي في الحوار على ثلاثة مستويات، وهنا يجب على المنصرين أن يسألوا أنفسهم حول ملائمة الحوار العملي مع المسلمين، وهو المستوى الثالث للحوار.

أي هل يستطيع المنصرون أن يشاركوا المسلمين في مشروعات مشتركة ذات عمل اجتماعي؟

أو على شكل محاربين مشتركين في حرب ضد عدو مشترك واحد؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الأهداف من هذا التعاون؟ وإلى أي مدى يمكن أن نذهب فيه؟ هل نستطيع ـ مثلاً ـ أن نوفق بين المنبوذين؟ (المورو)، وهم المسلمون المضطهدون في (ميدناو) في الفلبين، وبين طموحاتهم الوطنية؟!

النقطة التاسعة: الخطوات اللاحقة[2]:

لن تجد الأسئلة السابقة إجابات سهلة، ولكن التخطيط لتنصير المسلمين يتطلب البحث عن تلك الإجابات.

وربما نجد أن الحوار غامض، أو محشو لدرجة أنه لا يمكن أن يستخدم حتى بحكمة، أو ربما يتبين أن الأنشطة التي يتضمنها خطيرة جداً، أو غير فعالة لتكون ضمن الاستراتيجية التنصيرية.

ومن جانب آخر إذا شعرنا بأن شكلاً من أشكال الحوار يمكن أن يكون مفيداً لكسب المسلمين، فعندئذ يكون مهماً أن نبدأ الآن في تخطيط كيفية القيام بذلك.

وهل نحن مستعدون لإعداد فرق لمحاورة المسلمين؟ كما فعل مجلس الكنائس العالمي، وإذا قررنا ذلك: فما هي أهدافنا من الحوار؟ وعلى أي مستوى؟ وكيف يمكن أن نقيّم نجاحه أو فشله؟

---

(1) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص776).

(2) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص777).

التعقيبات:

ألحقت بهذه الدراسة بعض التعقيبات والتساؤلات من قبل المشاركين في المؤتمر التبشيري الذي سبق الحديث عنه، وهذا موجز عنها[1]:

انقسم المعقبون بالتساوي حول فائدة الحوار، فجاء في بعض الآراء المعارضة:

1ـ إننا لم نتعلم شيئاً جديداً، ولم نستفد أبداً من الحوار.

2ـ إن الحوار هو تنازلات على كل الجبهات، وبالتأكيد فإن المسلمين يهنئون بعضهم بعضاً على ذلك.

3ـ وهو تعقيب تحذيري جاءت فيه النقاط التالية:

أ ـ كوننا لا نستطيع أن نوافق على أساليب ونتائج مجلس الكنائس العالمي حول الحوار، فهذا لا يعني أننا لا نعرف كيف نحاور.

ب ـ هل إيماننا مزعزع لدرجة أننا لا نستطيع أن نجلس ونستمع بحرص.

ج ـ إن المحاورة تشكل تهديداً ـ فقط ـ إذا لم يكن الرب هو الذي يوجهنا.

أما فيما يتعلق بمجلس الكنائس العالمي فقد لوحظ أن المجلس ليس وحدة كلية متراصة متناغمة. وأضاف أحد أعضاء المجلس بأن المجلس ليس لديه النية في وضع الحوار بديلاً عن الإرساليات التبشيرية، وأن استخدام المجلس للحوار يجب ألا يفسر على أنه دفاع عن أي شكل من أشكال الحلول الوسطية.

واتفق المعقبون على أن التفاعل الشخصي غير الرسمي مع المسلمين، فيما يخص عقيدتهم هو أمر قيّم، وله مكانته.

وأن الحوار يزيد الفهم والدعوة لتظهر كلمة الرب، والاستراتيجية تتضمن وقوع البذرة في التربة الصحيحة.

وقد رد صاحب الدراسة (بروستر) على هذه التعقيبات بمايلي[2]:

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص778) ومابعدها.

(2) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي (ص781) ومابعدها.

يرى صاحب الدراسة أن هناك فائدة حقيقية للحوار، سواء على المستوى الرسمي، أو غير الرسمي:

(1) ـ فائدة الحوار على المستوى الرسمي: يفيد الحوار على المستوى الرسمي في تصفية المياه العكرة التي أثارتها قرون من الامبريالية الدينية والسياسية، على كلا الجانبين. أي: الجهاد، والحملات الصليبية، والاستعمار، والصهيونية.

(2) ـ فائدة الحوار على المستوى غير الرسمي: للحوار وظيفة طبيعية يمكن أن تفتح أبواباً للصداقات، وتخلق تفهماً متبادلاً، بغرض المشاركة في حقيقة الحياة كما يراها المسيحي.

وهناك فوائد أخرى للحوار، مثل أن الحوار أعاد المشاركين المسيحيين إلى الوراء ليكتشفوا غزارة العقيدة المسيحية، ولا يستطيع المسيحيون أن يكونوا سطحيين في افتراضاتهم، فإن سماعهم لانتقادات شركائهم في الحوار ـ وبعد الوصول إلى حل تلك الانتقادات ـ يعني أن العقيدة المسيحية قد تعززت، على الرغم من تعرض أولئك المشاركين للمخاطر.

وهناك خطر حقيقي وهو أن مثل هذه الحوارات الرسمية العلنية التي يجريها مجلس الكنائس العالمي لن تبرز إلى السطح الأفكار المسيحية، وبذلك لن يكون الحوار وسيلة تنصيرية.

ومن أهم الملاحظات أن أعضاء مجلس الكنائس العالمي غير ملتزمين بالتقيد بالبيانات التي تصدر عن مؤتمرات الحوار مع المسلمين، وأن الاشتراك في الحوار لا يعني مطلقاً إيقاف المرامي التنصيرية.

* * *

المبحث الرابع

موقف بعض المسيحيين العرب من الحوار الإسلامي المسيحي

هناك انفتاح واضح في موقف المسيحيين العرب تجاه الحوار مع المسلمين، وهو انفتاح إيجابي، تمثل في كثير من اللقاءات والمؤتمرات، إضافة إلى عدد كبير من الآراء والتصريحات التي تصدر بين الفينة والأخرى، داعية إلى حوار بناء، هادف مع المسلمين، وبخاصة في سورية، ولبنان، ومصر[1].

وقد تعرض الأب منير خوام في خلاصة دراسته: (المسيح في الفكر الإسلامي الحديث، وفي المسيحية)، تعرض إلى ضرورة وجود الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وعلى جميع الأصعدة والمستويات، معتبراً أن وجود هذا الحوار سوف يخلق جواً من التفاهم، ولذلك اقترح إنشاء مركز رئيس للحوار، بقدر الإمكان في كل بلد، بل في كل مدينة مهمة، ولاسيما في الأوساط التي يعيش فيها المسيحي والمسلم جنباً إلى جنب، وأن تنشأ مجلات وصحف مشتركة، يعلن فيها ما يجري في هذه الحوارات[2].

ويرى (خوام) أنه يجب على الكنيسة أن تعمل بكل مراتبها مع جميع الهيئات الإسلامية لخلق جو إنساني من التعايش، كخطوة أولى وضرورة، حتى يتم الوصول إلى نتائج إيجابية.

ويرى أيضاً الباحث (خوام)، أن هناك نقاطاً للتلاقي بين المسلمين والمسيحيين، ونقاطاً للاختلاف، وبخاصة في بعض جوانب العقيدة في كلا الدينين، ولا تتم معالجة تلك الاختلافات، ولا تدعيم جوانب التلاقي، إلا من خلال الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وقد وضع، الباحث (خوام) بعض الشروط التي يراها

---

(1) انظر: ندوة المسيحية والإسلام في لبنان (ص15) ومابعدها. والمسيحيون العرب (ندوة)، (ص83) ومابعدها. والحوار بين الأديان (ص61) ومابعدها. والدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 523)، ومابعدها.

(2) انظر: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث، وفي المسيحية (ص426).

ضرورية لمثل هذا الحوار، تمثلت فيما يلي[1]:

(1) ـ يجب أن يبنى الحوار على الاحترام المتبادل، والصدق، والصراحة، والوضوح، والثقة، وكذلك على الصبر. أي على المحبة التي يريدها الله تعالى، حتى يبتعد الجميع عن كل شك وحذر، وعن روح عدم المساواة، ويقتلع من القلوب جذور ذكرى ماض أليم.

(2) ـ بما أن المشاركة في الحوار تعني مشاركة أشخاص لا أفكار، ومشاركة أخوة لا أعداء، فهذا يعني أن على المسلم والمسيحي قبل كل شيء أن يعيشا عيشة روحية عميقة، هي أساس كل تجديد، وهذه الخطوة صعبة وشاقة، ولكن عند العودة إلى سيرة الأنبياء نجدهم يصلّون قبل القيام بأي عمل، فالصلاة أساس مهم لدى الطرفين.

وعليه فإن الوقت قد حان لتأليف صلاة مشتركة، تصعد من قلوب تبحث بصدق وإخلاص عن تحقيق إرادة الله، وتعيش في روح الأخوة والسلام.

أو على الأقل أن يرفع كل طرف صلاة إلى الله، مستوحاة من إيمانه ودينه، حتى يضع حداً لهذه الانقسامات الدينية، فيعبده الجميع بقلب واحد، وفم واحد.

(3) ـ إن كل حوار يتطلب الدراسات العميقة، لذلك لابد من فتح مراكز للعلوم الدينية، تكون في متناول كل إنسان، حتى يجهز نفسه بتربية دينية علمية عميقة، فيطلع على حقيقة العقيدة الإسلامية، والعقيدة المسيحية، من ينابعهما في آن واحد.

وهنا لابد من ملاحظة وهي أن مثل هذه المراكز والمعاهد العلمية، قد قام الجانب المسيحي بافتتاحها، مثل بعض المراكز الرسمية تحت إشراف الجامعة اليسوعية، في كل من بيروت وصيدا، وأيضاً مركز الدراسات للعالم العربي الحديث في بيروت ومقره الجامعة اليسوعية، والمركز الدومينكاني في القاهرة، وبغداد.

فهذه المراكز ستسهل الاطلاع على حقيقة الديانات، وتفتح آفاقاً جديدة، وواسعة للعلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص427) ومابعدها.

(4) ـ يجب أن يفرق الرأي الإسلامي بين الدين المسيحي وبين الدولة، لأن هذه التفرقة سوف تكشف عن وجه الكنيسة الحقيقي[1]، لأن عمل الكنيسة هو تعليم أبنائها كلام الرب، وأن تنصح وترشد، وتبذل كل ما في وسعها لتحافظ على طريق الرب، من أجل خلاصهم، ولكنها لا تستطيع اللجوء إلى القوة والعنف لتفرض إرادتها على المسؤولين السياسيين المسيحيين.

إنها [أي: الكنيسة] تتمنى أن تعيش شعوب العالم بأسره في روح من التضامن الأخوي والمحبة.

وبهذا يدرك الرأي الإسلامي أن الكنيسة لا تغطي استعماراً ولا استعباداً، إذ إنها لا تنفك تطالب باحترام حرية الإنسان، مهما كان مستواه الاجتماعي والديني والثقافي.

(5) ـ يعترف العالم الإسلامي نفسه أن مستواه بعيد عن مستوى العالم المسيحي في جميع المجالات الثقافية والتقنية وغيرها، ولذلك هنا بداية مرحلة جديدة وهي التبادل الثقافي وغيره بين الشعوب وهذه الخطوة مهمة من أجل انفتاح العقول بعضها على بعض، وتوسيعها سيتيح للحياة الاجتماعية أن تتطور، الأمر الذي سيؤدي إلى توسيع العلاقات الفردية والجماعية، فينظر كل واحد للآخر نظرة الأخوة، فنشاهد بذلك اضمحلال الحقد في القلوب.

(6) ـ فيما يخص الحقل الديني: فإننا نُقِرُ بأنه حقل صعب جداً، واللقاء بين الطرفين يتطلب كثيراً من الدقة واللطف والاتزان، وأيضاً الحرص والحكمة، ولذلك يجب على كلا الطرفين قبل كل شيء أن يبعدا فكرة التبشير، أو الدعوة إلى الدخول في دين الآخر، وإنما يهدف اللقاء إلى عرض عقيدتيهما، على حقيقتيهما التي يؤمنان بها، وذلك بكل بساطة وصراحة وصدق.

ولذلك فمن الأفضل البدء بالحديث عن النقاط المتشابهة، أو القضايا المشتركة التي يسهل فهمها وقبولها.

---

(1) لم يوضح الكاتب (الدكتور خوام) في دراسته، ما هو المقصود بالكنيسة؟ هل هي الكنيسة المسيحية في العالم العربي؟ أم هي الكنيسة المحلية في البلاد العربية؟

(7) ـ يجب على المسلمين أن يعرفوا أن الإيمان المسيحي هو إيمان وحدوي، لم يتزعزع، ولن يتزعزع، والمسلمون ينظرون إلى الله في ألوهيته دون النظر في سر حياته الخاصة، لأنهم يعتبرون ذلك سراً لا يوحى به.

فالعمل الأول هو إيجاد جميع الوسائل الفعالة لتقوية هذا الإيمان بالله الواحد الأحد في القلوب، حتى ينقطع الطريق على انتشار الإلحاد.

(8) ـ أما بخصوص الكتاب المقدس، فالأولى بالمسلمين أن يقرؤوه بروح علمية منفتحة، بعيداً عن التعصب، لأن محتواه سيظهر صحته، ويبين بوضوح أكبر قيمته.

(9) ـ هناك نقاط تقارب بين المسلمين والمسيحيين فيما يتعلق بمايلي:

ـ أ ـ الولادة المعجزة للمسيح من أمه العذراء مريم.

ـ ب ـ موضوع عودة المسيح ثانية إلى الأرض.

ولكن بالمقابل هناك قضايا تحتاج إلى دراسة عميقة، وتعتبر نقاط تناقض بين الطرفين، هي: ألوهية المسيح، والثالوث الأقدس، والتجسد، والصلب.

المبحث الخامس

ملاحظات تقييمية حول موقف المسيحيين من الحوار الإسلامي المسيحي

إن دراسة متأنية وواعية لمواقف المسيحيين من الحوار الإسلامي المسيحي، ورؤية شروطهم، وأهدافهم منه، وبخاصة فيما يتعلق بموقف الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، يمكن أن يضع أمام كل باحث الملاحظات التالية لدراستها، وهي:

(1) ـ يتقدم المسيحيون نحو الحوار الإسلامي المسيحي بموقف عقائدي واضح، ويعتبرونه شرطاً أساسياً للحوار مع المسلمين، وهو أن الحوار يجب ألا يمسّ المسلمات العقائدية في الديانة المسيحية، وتحديداً قضية الألوهية، التي يرونها في شخصية المسيح، وقضية الخلاص التي تعتمد كلياً على فكرة التجسد والفداء والألوهية.

(2) ـ لا يعتبر الفاتيكان بأنه من الواجب على الجانب المسيحي أثناء حواره مع المسلمين أن يقوم بتوضيح عقيدته التي يؤمن بها، حتى ولو سئل عن تلك العقيدة، بل الواجب عليه أن يتمسك بتلك العقيدة، ولا يتنازل عنها.

(3) ـ يرى الجانب المسيحي ضرورة أن يكون لليهود مساهمة فعلية، ومشاركة واقعية، ضمن الحوار الإسلامي المسيحي، متناسياً عدوان وظلم اليهود الصهاينة على المسلمين والمسيحيين في آن واحد في فلسطين وغيرها من البلاد العربية. وإساءتهم إلى المقدسات الإسلامية والمسيحية.

(4) ـ يرى الفاتيكان أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في غالب الأحيان ـ تاريخياً ـ هي علاقات سلبية.

ولعل السبب في هذه النظرة إلى العلاقات بين المسلمين والمسيحيين نابعة من نظرة الفاتيكان الخاصة به، أي بعبارة أوضح نابعة من وجهة نظر الغرب المسيحي.

حيث كانت علاقات الغرب المسيحي مع المسلمين سلبية سيئة عبر غالب المراحل التاريخية، وبخاصة الحروب الصليبية ـ التي كان المحرّض الأول لها هو الفاتيكان ـ، وتاريخ الاستعمار الحديث.

ولكن هذه النظرة لا يمكن أن تنطبق بحال من الأحوال على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في البلاد العربية والإسلامية. لأنها كانت علاقات إيجابية وأنموذجية، يسودها الود، والتعايش السلمي، القائم على الاحترام المتبادل، خلا بعض الفترات التي كانت تتوتر فيها تلك العلاقات، والسبب في ذلك غالباً ما يكون هو الإثارة الطائفية، التي يغذيها الغرب المسيحي من حين لآخر.

(5) ـ اعتراف الفاتيكان بمظالم الماضي، وبالأخطاء التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين، وبخاصة في فترة الحروب الصليبية، والاستعمار الحديث.

وهذا قد يفتح أبواباً جديدة لعلاقات أفضل في المستقبل بين المسلمين والمسيحيين.

(6) ـ هناك تناقض واضح في موقف مجلس الكنائس العالمي، من قضية التنصير

بين صفوف المسلمين، واستخدام المساعدات الطبية، والتعليمية، والاجتماعية، وسيلة للتنصير، وأيضاً استغلال الحوار مع المسلمين وسيلة تنصيرية.

حيث يرى المجلس أحياناً أن التنصير من خلال هذه الأساليب عمل غير صحيح، وهو استغلال سيء للأهداف الحقيقية لهذه الوسائل، وتارة أخرى يرى المجلس أن الحوار والمساعدات كل ذلك وسائل جيدة ومهمة لأجل تنصير المسلمين.

(7) ـ وضوح نظرة الغرب المسيحي العنصرية والاستعلائية نحو المسلمين، إذ اعتبر المؤتمر التبشيري في أمريكة، عام (1978م)، المسلمين المطالبين بحقوقهم الطبيعية في منطقة (ميندناو) في الفلبين، من المنبوذين في العالم.

(8) ـ هناك نقطة مهمة وتعتبر سلبية للغاية في موقف كل من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، تجاه الحوار الإسلامي المسيحي، وهي موقفهم من قضية فلسطين.

إذ اعتبر الفاتيكان هذه القضية قضية تتطلب مشاركة وجدانية، وأنه ـ أي الفاتيكان ـ لا يمتلك تجاه هذه القضية أية قدرة على تحويل مسار الساسة والقادة المسيحيين في الغرب عن الدعم المطلق لما يسمى دولة إسرائيل، أو السعي لمساعدة الشعب الفلسطيني المضطهد[1].

على حين اعتبر مجلس الكنائس العالمي قضية الشعب الفلسطيني قضية أخلاقية فقط، فقد جاء في تقرير (بومان) المقدم إلى ندوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف، خلال الشهر الأول من عام (1974م)، قوله: «إن أحقية اليهود في أرض فلسطين مسألة يسندها الكتاب المقدس، أما حقوق الفلسطينيين فمسألة غير لاهوتية ـ مجرد قضية أخلاقية ـ»[2].

* * *

(1) انظر: (ص389) من هذا الكتاب.

(2) الحوار بين الأديان (ص31).

الفصل الثاني

موقف المسلمين من الحوار الإسلامي المسيحي وأهدافهم منه وقضية وحدة الأديان

ليس هناك وضوح تام في موقف المسلمين من الحوار الإسلامي المسيحي، ولعل السبب في ذلك هو افتقار المسلمين إلى هيئة عالمية، أو حتى إلى هيئة اقليمية، تتحدث باسم المسلمين في جميع بقاع الأرض، لأجل أن تحدد موقف العالم الإسلامي تجاه الكثير من القضايا التي تعرض على ساحة العلاقات الإنسانية والدولية.

إذ إن الهيئات الإسلامية الموجودة حالياً على الساحة العالمية أو الاقليمية، غالباً ما تكون متأثرة بالجوانب السياسية، وسائرة وفق مخططات وأهداف الدول التي تقوم بتمويلها، حيث يوجد تداخل كبير وواضح بين المواقف في تلك الهيئات، وبين الاتجاه الذي تسير فيه الدول الإسلامية التي تمول هذه الهيئات.

وفي حالة استقلال القرار عند بعض الهيئات الإسلامية، فإنه لا يوجد لها تأثير واضح في مستوى العالم الإسلامي، بسبب افتقارها إلى التمويل اللازم لتنفيذ تلك القرارات.

ثم هناك ـ في كثير من الأحيان ـ اختلافات جلية، بل وأحياناً أخرى هناك تناقضات صارخة، بين مواقف وآراء الهيئات الإسلامية، تجاه أمر من الأمور، أو قضية من القضايا الخاصة بالمسلمين، بدءاً ببعض القضايا الفقهية الاجتهادية الجديدة، والتي تحتاج إلى قول فصل من حيث الحلال أو الحرام، وانتهاء بقضايا الأمة الإسلامية المصيرية، والتي تحتاج أيضاً إلى رأي واحد يريح المسلمين في

مشارق الأرض ومغاربها، حتى لا تبقى كل قضية تتراوح بين العديد من الأقوال إيجاباً أو سلباً، وكثير من الفتاوى، والاجتهادات.

ولهذه الأسباب كان موقف المسلمين حول الحوار الإسلامي المسيحي عبارة عن آراء، أو تصريحات شخصية، تصدر من حين لآخر على صفحات المجلات والجرائد، وبين أسطر بعض الكتب، عن بعض علماء المسلمين، أو المفكرين والمثقفين ذوي الاتجاهات الإسلامية.

وقد انقسمت تلك الآراء والتصريحات إلى قسمين:

أ ـ قسم مؤيد للحوار الإسلامي المسيحي، يدعو إليه، ويراه ضرورة من ضرورات الدعوة الإسلامية المعاصرة.

ب ـ قسم معارض للحوار الإسلامي المسيحي، يحذر منه، ويراه وسيلة خطيرة تستخدمها المسيحية الحالية ضد الإسلام والمسلمين.

إلا أنه من الملاحظ عبر التاريخ الإسلامي الطويل، وإلى مطلع القرن العشرين، أنه لم تكن هناك أية اعتراضات من قبل أحد من علماء المسلمين أو مفكريهم أو زعمائهم أو قادتهم، تجاه الحوار الإسلامي المسيحي، حيث كان الحوار بالنسبة للمسلمين، واحد من أركان الدعوة الإسلامية، ووسيلة فعّالة لعرض الإسلام على حقيقته، ومجالاً واسعاً لشرح الأخطاء والانحرافات في العقيدة المسيحية.

وربما ظهر الموقف المعارض للحوار الإسلامي المسيحي في أواسط القرن العشرين، بسبب الارتباط ـ ذهنياً وتاريخياً وواقعياً ـ بين الاستعمار الغربي، وبين الديانة المسيحية، فأصبحا في بعض الفترات وجهين لعملة واحدة.

ثم هناك قضية جديدة، يجب على المسلمين أن يقفوا تجاهها بوعي وحزم شديدين، ظهرت على ساحة العلاقات بين الأديان الموجودة حالياً في العالم.

وبخاصة بين الإسلام والمسيحية واليهودية؛ وهي قضية وحدة الأديان. التي ترى أن الأديان كلها ذات أصول واحدة، ومتفقة في أهدافها وعقائدها وشرائعها، فلا خلاف في الحقيقة بين الأديان إلا في المظاهر والطقوس والعبادات.

ولذلك سيتم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث الأول عن الموقف المعارض للحوار، والثاني عن الموقف المؤيد للحوار، والثالث عن قضية وحدة الأديان، من حيث مفهومها، ومحاذيرها.

المبحث الأول

الاتجاه المعارض للحوار الإسلامي المسيحي

أولاً: عرض آراء المسلمين المعارضين للحوار الإسلامي المسيحي:

ارتبطت المسيحية ـ تاريخياً ـ بالغرب، بالنسبة للمسلمين في الشرق، فأصبحت أغلب الاحتكاكات والمواجهات التي تجرى بين الشرق والغرب، تذكِّر مباشرة بالمسيحية في الغرب، وبالإسلام في الشرق.

وقد نشأ ـ بسبب هذا الارتباط ـ إحساس عميق لدى المسلمين في العالم الإسلامي، بأن الغرب هو المسيحية، وأن المسيحية هي الغرب، ولذلك كان الموقف بصورة إجمالية عند المسلمين تجاه المسيحيين في الغرب هو موقف الحذر والشك، وأحياناً الريبة والخوف، تجاه كل ما يصدر أو يأتي من جهة الغرب المسيحي.

ولقد كان للتاريخ أثر كبير في تعميق هذا الموقف الحذر في نفوس المسلمين إذ لا يمكن لمسلم أن يتذكر تاريخ العلاقة بين المسلمين والغرب المسيحي، إلا وتقفز إلى ذهنه مباشرة صورة الصراع الدموي والظلم والاستغلال الذي تسبب في صنعه الغرب المسيحي عند المسلمين.

حيث تمثلت هذه الصورة من الصراع في الحروب الصليبية قديماً، والاستعمار الغربي حديثاً، والدعم المتواصل لليهود الصهاينة في الوقت المعاصر من قبل الغرب المسيحي.

وبسبب هذا الارتباط الوثيق بين الحروب الصليبية التي جاءت باسم الدين وبين المسيحية، وكذلك الارتباط بين الاستعمار الغربي الحديث وبين الكنيسة المسيحية في الغرب، والارتباط بين دعم الغرب لليهود الصهاينة وبين مواقف الفاتيكان تجاه

هذا الدعم، حيث وصل هذا الدعم إلى حد الاعتراف الرسمي من قبل الفاتيكان بما يسمى دولة إسرائيل[1].

بسبب كل ما سبق ذكره تأكدت نظرة الشك والحذر تجاه كل ما يأتي من جهة الغرب المسيحي، حتى ولو كان هذا الآتي باسم الإنسانية، والعدالة، والمساواة، وتقديم المعونات للبشرية المعذبة.

لهذه الأسباب مجتمعة نشأ الحذر الشديد والارتياب تجاه قضية الحوار الإسلامي المسيحي، لأنها في أغلب الأحيان خلال هذا القرن كانت الدعوة إليها تنبع من قبل الكنيسة المسيحية في الغرب ـ الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي ـ، كما سبق توضيحه في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث.

وهناك عشرات الآراء والنظرات التي حللت هذا الحوار، وحاولت دراسته، فنظرت إليه نظرة الشك والريبة، فحذّرت منه بشكل كبير، واعتبرته صورة جديدة للاستعمار الثقافي، والإرهاب الفكري، يريد بها الغرب المسيحي أن يلج داخل حصون المسلمين العقائدية والثقافية والفكرية.

وهذا عرض مجمل وجيز للأسباب التي بنى عليها المعارضون للحوار الإسلامي المسيحي رأيهم فيه[2]:

(1) ـ الحوار الإسلامي المسيحي الذي جاء به الغرب المسيحي، إنما هو وجه جديد من وجوه التنصير والتبشير بالمسيحية بين صفوف المسلمين، ووسيلة مهمة يصل بها الجانب المسيحي إلى كثير من المثقفين المسلمين، لعرض العقيدة المسيحية عليهم[3].

(2) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة جديدة لتخدير المسلمين، ولإشغال

---

(1) انظر: التبشير والاستعمار (ص266).

(2) لن يتطرق هذا العرض لأسماء أصحاب هذه الآراء، وإنما سيكتفي بالإشارة إلى مصادر تلك الآراء.

(3) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر (ص173). والتبشير والاستعمار (ص257). والدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 542). وأوربة والإسلام (ص185).

العالم الإسلامي، وبخاصة علماؤه، حتى يخلو الجو للمسيحية لتعمل بالتنصير والتبشير بعقيدتها، وتنفذ مخططاتها التنصيرية في عدة مناطق من العالم الإسلامي[1].

(3) ـ زعزعة عقيدة المسلمين بالحوار مع المسيحيين، حيث تعرض الشبهات والافتراءات ضد الإسلام، وعقيدته، وأحكامه، ونبيه ﷺ، الأمر الذي يؤثر في النفوس الضعيفة[2].

(4) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لإغراق المسلمين في قضايا جدلية عقيمة، والعودة بهم إلى المتاهات الفلسفية، عند بحث القضايا والموضوعات المتعلقة بالعقائد[3].

(5) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة للتشويش على القيادات الإسلامية، وكذلك على الشعوب الإسلامية بهدف إزالة العقبات النفسية والتاريخية التي يحملها المسلمون في ذاكرتهم تجاه الغرب المسيحي، لتقبل حضارة وثقافة العالم الغربي بكل مافيها[4].

(6) ـ عندما يقارن الباحث بين شعارات كثير من المؤتمرات وبين أعمال الجهات المنظمة لها، يتساءل عن سبب هذا التناقض بين النظر والتطبيق: متى كان لأوربة وأمريكة قيم روحية، ومثل أخلاقية عليا، حتى تدعو للمؤتمرات التي تبحث في القيم الروحية، والمثل الأخلاقية؟![5].

(7) ـ هناك كثير من مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي لم تشر لا من قريب، ولا من بعيد إلى قضايا ملحة ـ أي قضايا الساعة ـ، وإنما اكتفت بالعموميات التي

---

(1) انظر هل المسيح هو الله ـ تعالى ـ؟ (ص111). وبين الإنجيل والقرآن (ص11). ومجلة منار الإسلام، عدد خاص بمؤتمر الفقه المالكي الرابع، العدد(9)، السنة (11)، أيار، عام (1986م)، (ص43).

(2) انظر: التبشير والاستعمار (ص257). والدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 531).

(3) انظر: رسالة إلى البابا يوحنا بولس السادس (ص30).

(4) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 543).

(5) انظر: المثل العليا في الإسلام، لا في بحمدون (ص13).

لا تفيد شيئاً، مثل قضية فلسطين، واللاجئين منها، وقضية الحرب الداخلية في لبنان، وقضية المسلمين المضطهدين في الفلبين، وغيرها[1].

(8) ـ صحيح أن الدعوة إلى الله تعالى فرض، وأن النبي ﷺ قد حاور المشركين والمسيحيين واليهود، ولكن صيغة الحوار بالشكل الحالي تعتبر خطيرة ـ أي الجلوس على مائدة واحدة مع المسيحيين ـ الأمر الذي يؤدي إلى إيهام البعض أن المسيحية في نظر الإسلام دين حق، وأنها نظير الإسلام[2].

(9) ـ لا توجد هناك أية فائدة للحوار الإسلامي المسيحي[3]، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120].

(10) ـ الحوار الإسلامي المسيحي في الوقت الحالي ـ حتى ولو كان من باب الدعوة إلى الله تعالى ـ فهو في غير محله الآن، لأن المسلمين لم يسيروا بعد على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لكي يستطيعوا أن يهدوا اليهود والنصارى إلى الإسلام. أي يجب عليهم أن يصلحوا أنفسهم أولاً، ثم يقوموا بدعوة غيرهم إلى الإسلام ثانياً[4].

(11) ـ الحوار الإسلامي المسيحي مرفوض، بسبب تدخل بعض مؤتمرات الحوار في مناقشة ودراسة بعض القضايا المتعلقة بأحكام الشريعة الإسلامية، والمطالبة بتغييرها، مثل موضوع الردة[5].

(12) ـ يعتبر الاحترام المتبادل من أهم شروط الحوار، فلا يقبل أن يكون أحد الطرفين المشاركين في الحوار مظلوماً، والطرف الآخر ينظر إليه نظرة استعلاء، وهذا

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص72). ومجلة الوعي الإسلامي، العدد (211)، (ص87).

(2) انظر: مجلة منار الإسلام، عدد خاص بمؤتمر الفقه المالكي الرابع، أيار، عام (1986م)، (ص43).

(3) انظر: المرجع السابق (ص43).

(4) انظر: مجلة منار الإسلام، عدد خاص بمؤتمر الفقه المالكي الرابع، أيار، عام (1986م) (ص44).

(5) انظر: اللقاءات الإسلامية المسيحية، شبهات ومحاذير، مجلة الأمة، العدد (70)، السنة (6)، حزيران، عام (1986م) (ص57). وانظر: الإسلام والأديان (ص18).

هو حال المسلمين مع الغرب المسيحي، ولذلك لا فائدة من الحوار[1].

(13) ـ أصبح الحوار مع المسيحيين بعد هزيمة المسلمين نفسياً ومادياً وسيلة يستخدمها الغرب المسيحي ليعترف المسلمون بقوة المنافس، فلم يعد الحوار يهدف إلى الدعوة إلى الإسلام، وإنما أصبح الهدف منه استعطاف الطرف الآخر ـ الأقوى ـ ليرفع الحوار التهم الموجهة نحو الإسلام والمسلمين[2].

(14) ـ في كثير من الحوارات كان الطرف الذي يمثل المسلمين، على غير المستوى اللائق والكافي من القدرة والكفاءة العلمية والتخصصية، بل غالباً من الذين يحسبون على الإسلام والدعوة الإسلامية اسمياً[3].

(15) ـ هناك تساؤلات كثيرة، ومن الصعوبة الإجابة عنها بوضوح، وهي تتعلق بمصادر تمويل كثير من مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي، إذ هناك بعض الإشارات إلى أن بعض مصادر التمويل هي من جهات غربية، كالمخابرات المركزية الأمريكية، وهذا كله يزيد من الحذر والتشكيك بقضية مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي[4].

(16) ـ كان من أهداف بعض مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي محاربة الإلحاد، لمنع انتشاره في العالم، مع العلم أن الإلحاد لم ينتشر عقيدة ومبدأ إلا في البلاد المسيحية شرقاً وغرباً، إذ واجه الإلحاد صعوبة كبيرة في الاتجاه نحو العالم الإسلامي، ولكن هذا الهدف حالياً ربما سقط بسقوط الشيوعية الدولية العظمى في العالم.

---

(1) انظر: الحوار والمعادلة المفقودة، مجلة، الأمة، العدد، (62)، السنة (6)، تشرين الأول، عام (1985م)، (ص18).

(2) انظر: الحوار والمعادلة المفقودة، مجلة الأمة، العدد (62)، للسنة (6)، تشرين الأول، عام (1985م)، (ص18) ومابعدها.

(3) اللقاءات الإسلامية المسيحية شبهات ومحاذير، مجلة الأمة، العدد (70)، السنة (6)، حزيران، عام (1986م)، (ص58).

(4) انظر: المرجع السابق، نفس المقالة، (ص59).

وهذا يدعو إلى التساؤل: من هو العدو الآن؟ أو ما هو الخطر الذي يواجه الغرب المسيحي حتى يسعى لمحاربته؟

هناك كثير من الدلالات تشير إلى أن هذا العدو هو الإسلام. . .[1].

(17) ـ عقدت بعض المؤتمرات في العالم، وبخاصة مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي، لأجل معالجة مشاكل الفساد في العالم (المخدرات ـ الخمر ـ الزنا. . .)، مع العلم أن هذه المشاكل سببها بالدرجة الأولى هو الغرب المسيحي.

(18) ـ الغرب المسيحي يستغل الحوار مع المسلمين إعلامياً، تحت شعارات براقة، حتى يظهر نفسه أمام العالم أنه يسعى فعلاً لتحقيق تلك الشعارات كالعدالة، والمساواة، والحرية، والسلام العالمي، وحماية البيئة، ومساعدة الإنسانية البائسة، في المناطق المنكوبة في العالم؛ ولكن الواقع يكذب هذه الادعاءات تماماً.

(19) ـ بسبب بعد الشعوب المسيحية في الغرب عن الكنيسة، تحاول الكنيسة إقامة الحوار مع المسلمين، حتى تقول لشعوبها: انظروا، أعداؤنا يعترفون بنا ويحاورونا، فلماذا أنتم أيها المسيحيون تكفرون بنا؟![2].

هذا هو مجمل الآراء التي يرى أصحابها فيها أسباباً كافية لمعارضة الحوار الإسلامي المسيحي ورفضه، حيث إن مخاطره أكثر من فوائده عندهم.

ثانياً: مناقشة بعض آراء المعارضين:

لابد من مناقشة بعض هذه الآراء التي عرضت سابقاً، وذلك بتوضيح بعض المغالطات التي تضمنتها، أو بعض الأفكار غير الواضحة، وهي:

(1) ـ إن القول بأن الدعوة إلى الله تعالى فرض على المسلمين، وأن النبي ﷺ قد حاور اليهود والنصارى والمشركين، إلا أن صيغة الحوار بالشكل الحالي تجعل المسيحية نظير الإسلام على مائدة واحدة.

---

(1) انظر: تغطية الإسلام، (ص12)، و (ص37).

(2) انظر: الاستشراق السياسي (ص183).

إن هذا القول يناقض بعضه بعضاً، لأن النبي ﷺ عندما حاور المشركين واليهود والنصارى، وجلس معهم جلسات كثيرة، يجادلهم بالتي هي أحسن ويدعوهم إلى الله تعالى، ويستمع إلى آرائهم، وعقائدهم، واعتراضاتهم، فيرد عليها، ويفند مزاعمها بما يلهمه الله تعالى من الردود، لم يكن هذا يعني بحال من الأحوال أن النبي ﷺ قد اعترف بأن ما عند المشركين أو اليهود أو النصارى هو حق، ولم يفهم أحد من المسلمين أو يستنبط قط ـ لا في زمن النبي ﷺ ولا من بعده ـ أن الدين الذي يدين به هؤلاء هو دين حق نظير للإسلام.

وقد سبق عرض مفهوم الآية الكريمة، وهي قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]. فهذه الآية تفتح أبواب الحوار بين المسلمين وغيرهم على مصراعيه، ودون أن يعني ذلك مطلقاً أن القرآن الكريم قد اعترف بأن ما عند غير المسلمين هو حق، وأن دينهم مساوٍ للإسلام.

(2) ـ إن القول بأن الحوار مع المسيحيين لا فائدة ترتجى منه، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120].

إن هذا القول هو كلام غامض، فالآية الكريمة تحدد بوضوح موقف اليهود والنصارى من الإسلام والمسلمين، وتبين أنهم لن يكلوا، ولن يهدؤوا حتى يحولوا المسلمين عن دينهم، ولكن هذه الآية الكريمة لا تشير ـ لا عبارة، ولا دلالة، ولا إشارة ـ في نصها إلى أنه يجب على المسلمين أن يقفوا مكتوفي الأيدي، وأن يجمّدوا العمل في إقناع اليهود والنصارى بالحقائق البينة التي جاء بها الإسلام، كما أنها لا تطلب من المسلمين أن يتركوا ركناً مهماً وأساسياً من دينهم، وهو الدعوة إلى الله تعالى، والدعوة إلى حقائق الإسلام، دعوة كل الناس مهما كانت دياناتهم ومعتقداتهم.

(3) ـ إن القول بأن الحوار الإسلامي المسيحي في الوقت الحاضر ـ ولو كان من باب الدعوة إلى الله تعالى ـ فهو في غير محله، لأن المسلمين لم يسيروا بعد على منهاج الكتاب والسنة، حتى يستطيعوا أن يهدوا اليهود والنصارى.

هذا القول فيه مغالطة كبيرة جداً، لأن الدعوة إلى الله تعالى لايمكن لها أن تتوقف بحال من الأحوال، والمسلمون كلهم مطالبون، في كل زمان ومكان، بأن يبلغوا

دعوة الله تعالى إلى كل الناس، على اختلاف ألوانهم ودياناتهم، ولا ينتظر بعضهم بعضاً حتى يسير الجميع على منهاج الكتاب والسنة، ثم ينهضوا ـ جميعاً ـ لدعوة الناس إلى الدين الحق؟!!

وإن إصلاح المسلمين في كل بلد إسلامي، ليسيروا على منهاج الكتاب والسنة أمر مهم للغاية، ويجب أن يؤدي كل مسلم دوره الكامل فيه، وبخاصة العلماء والأمراء، وأيضاً الدعوة إلى الله تعالى أمر مهم، فيجب حينذاك إعطاء كل ذي حق حقه، وعدم خلط الأمور بعضها ببعض.

ثالثاً: محاذير يجب التنبيه عليها في قضية الحوار الإسلامي المسيحي:

إن مجمل الآراء التي ترى في الحوار الإسلامي المسيحي خطراً حقيقياً يتهدد الإسلام والمسلمين، في الوقت الحاضر، هي آراء لا شك بأنها مخلصة في أهدافها، ولكن لا يمكن اعتبارها بحال من الأحوال سبباً كافياً ووجيهاً لرفض قضية الحوار الإسلامي المسيحي برمّتها.

بل إنه يجب اعتبار هذه الآراء بمجملها محاذير وضوابط يمكنها أن تفيد في خط سير الحوار الإسلامي المسيحي بالنسبة للمسلمين، وتبعده عن الانحراف عن هدفه الأسمى، وهو الدعوة إلى الله تعالى، وتقديم الإسلام بصورته الحقيقية للمسيحيين، وتحمي هذه المحاذير الحوار من أن يكون أداة تخدم أهداف المسيحية في العالم.

إذ إن مجمل هذه الآراء يجب أن يكون واضحاً لدى كل الجهات أو الهيئات الإسلامية التي تشارك في الحوار مع المسيحية، لتحاول الاستفادة منها، وتسعى جاهدة لكي يكون الحوار الإسلامي المسيحي خالياً من المحاذير، والتي تعتبر شوائب خطيرة ـ بنتائجها ـ على الدعوة الإسلامية، فتنحرف ببعض جوانبها عن الطريق الذي أراده الله تعالى لها.

ولذلك هناك بعض هذه المحاذير التي يجب تأكيدها، وهي:

(1) ـ ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لعرض العقيدة المسيحية، دون التنبيه إلى مافيها من انحرافات خطيرة، تخالف صريح العقيدة الإسلامية، التي جاء بها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

(2) ـ ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لمناقشة بعض قضايا الأحكام الشرعية الإسلامية، للطعن فيها، وذلك باسم الانفتاح والمدنية، وعدم التعصب، وحرية الرأي والفكر.

(3) ـ ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لبحث قضايا جدلية عقيمة، ليس لها فائدة ترتجى.

(4) ـ أن يكون الطرف المسلم المحاور الذي يشارك في الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى اللائق من الكفاءة العلمية والتخصصية والتربوية، لا أن يكون المشارك باسم المسلمين في الحوار من الأشخاص الذين يحسبون على الإسلام، ويشوهون جوهر وحقيقة الإسلام. أو من الذين لا يستطيعون عرض الإسلام بروحه الصافية، وأن يكون ذلك المشارك المسلم على دراية تامة بمتغيرات العصر الحالي.

(5) ـ ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة تتخذها بعض الجهات لتوجيه المسلمين نحو قضايا سياسية، تتناقض والأهداف المرجوة لهذا الحوار، بل الواجب أن تبقى الحوارات بعيدة كل البعد عن الاتجاهات السياسية، وضمن إطارها العقائدي، وبهدف التعايش السلمي، بين المسلمين والمسيحيين في العالم.

(6) ـ ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي بيد أفراد يوجهونه كيفما أرادوا، بل الواجب أن يكون الحوار تحت إشراف هيئات علمية إسلامية مستقلة، حتى توجهها التوجيه السليم، الذي يتناسب مع أهداف العقيدة والفكر الإسلامي الصحيح.

* * *

المبحث الثاني

الاتجاه المؤيد للحوار الإسلامي المسيحي

ويضم هذا المبحث مايلي:

أولاً: عرض آراء المسلمين المؤيدين للحوار الإسلامي المسيحي:

سبق في الباب الثاني من هذا البحث عرض تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي عبر مرحلتين، الأولى من بعد عصر الرسول ﷺ إلى بداية القرن العشرين، والثانية من بداية القرن العشرين إلى نهاية الثمانينات منه.

وهذا الكم الوافر من الحوارات بين المسلمين والمسيحيين عبر هذه المراحل التاريخية، وبخاصة في القرن العشرين، يبرز بوضوح تام أن الاتجاه الذي أيّد الحوار الإسلامي المسيحي، وحثّ عليه، ودعا إلى ضرورة المشاركة فيه، كان هذا الاتجاه هو رأي الغالبية العظمى من علماء المسلمين، ومفكريهم، تجاه الحوار مع المسيحيين.

ولذلك فإن الآراء المؤيدة للحوار الإسلامي المسيحي كثيرة، دعت إليه، وشاركت فيه مشاركة فعّالة، وبيّنت في كثير من المناسبات أهميته، وتحدثت عن الكثير من الفوائد التي يمكن للمسلمين أن يجنوها من حوارهم مع المسيحيين.

وهذا مجمل لأهم وأبرز تلك الآراء والتصريحات التي دعت للحوار مع المسيحيين، حيث رأت فيه فوائد وأهدافاً يمكن تحقيقها للمسلمين، وهي:

(1) ـ الحوار الإسلامي المسيحي هو في الحقيقة سبيل مهم من سبل الدعوة إلى الله تعالى، وهو تنفيذ لأوامر الله عز وجل، التي تحث المسلمين على إقامة الحجة، وإسطاع البراهين، لتقريب العقول والقلوب إلى الدين الإسلامي الحنيف[1].

---

(1) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص8). وبين الإسلام والمسيحية (ص294).

(2) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة مهمة لعرض محاسن الإسلام على أساس أنه الدين الشامل الكامل، الذي نظم علاقة الإنسان بينه وبين خالقه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين أخيه الإنسان، وبينه وبين سائر المخلوقات، وسار بالإنسان في طريق سعادة الدنيا والآخرة.

(3) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لتوضيح حقيقة مخفية على المسيحيين، وغيرهم في العالم، وهي موقف الإسلام النبيل، الداعي إلى التسامح مع أبناء البشرية كافة، والمسيحيين خاصة[1].

(4) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لمحو الصورة المشوهة للإسلام، والتي رسمتها الكنيسة في العالم الغربي، عبر قرون طويلة من بث الحقد والكراهية ضد المسلمين ودينهم، ورمي الإسلام، وعقيدته، وشريعته، ونبيه ﷺ بكل المثالب والنواقص، وبخاصة في الكتب والدراسات التي تحدثت عن الإسلام[2].

(5) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة مؤثرة لتنقية الكتب المدرسية التي تدرس للأجيال الصاعدة في الدول الغربية المسيحية، لغربلتها من كل الشوائب والتشويهات والأفكار الخاطئة التي ألحقت بالإسلام[3].

(6) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة مفيدة لكشف المسيحية الحقيقية للإنسان المسلم، الذي يعيش في بلد يسكنه المسيحيون، حتى يستطيع فهم دينهم على المستوى الصحيح[4].

= وموقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص555) و (ص766).

(1) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 554).

(2) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية (ص11). وانظر: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص494). والدعاة والدعوة الإسلامية المعصارة (1/ 563) و (1/ 567).

(3) انظر: التعايش بين الأديان، ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة الجهاد، العدد(95)، السنة (9)، عام (1991م)، (ص15). وانظر: المؤتمر الإسلامي المسيحي في قرطبة، مجلة العربي، العدد (223)، حزيران، عام (1977م)، (ص43).

(4) انظر: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص484).

(7) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة فعّالة لتدعم المسلمين معنوياً، وبخاصة في البلدان التي تواجه التنصير المسيحي[1].

(8) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة للدفاع عن نبي كريم من أولي العزم، وهو عيسى ابن مريم، وأمه البتول ـ عليهما السلام ـ، مما نسبه إليهما رجال الكهنوت المسيحي عبر التاريخ من التعظيم الذي أوصلهم إلى نسبة الألوهية إليهما، وأيضاً لتبرئتهما مما نسبه إليهما اليهود من الافتراءات والأكاذيب[2].

(9) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة مهمة لبحث قضايا الأقليات المسلمة في العالم، والسعي لحمايتها[3].

(10) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لكشف نقاط الضعف عند المسلمين ـ إن وجدت ـ في مجال الدفاع عن عقيدتهم وشريعتهم، وذلك عندما يستمعون إلى الطرف الآخر باهتمام ووعي، ودون حساسية، أو انفعال، أي يستطيع الحوار أن يزرع في المسلمين قدرة أكبر على التحمل لتلقي النقد، ثم إصلاح تلك الأخطاء ونقاط الضعف[4].

(11) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لتسليط أضواء الحقائق العلمية والعقلية والتاريخية على الأخطاء والانحرافات في العقيدة المسيحية، حتى يراها المسيحيون أنفسهم، وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى[5].

(12) ـ الحوار الإسلامي المسيحي بكل أشكاله دعوة لتحكيم العقل والعلم

---

(1) انظر: هل الكتاب المقدس كلام الله؟ (ص70): والفكر الإسلامي في الرد على النصارى (ص14). وعيسى يبشر بالإسلام (ص15).

(2) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية والنصرانية (ص11).

(3) انظر: Dialogue between Christians and Muslims (1/39)

(4) انظر: المؤتمر الإسلامي المسيحي في قرطبة، مجلة العربي، العدد(223)، حزيران، عام (1977م)، (ص51). والاستشراق السياسي (ص183).

(5) انظر: الفكر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (ص170). وبين الإسلام والمسيحية (ص294).

المجردَين عن الأهواء والانفعالات، في حقيقة كل من العقيدتين الإسلامية والمسيحية، حتى يقولا كلمتهما أمام البشرية[1].

(13) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لتنقية الرسالات السماوية السابقة، وتوضيح الصورة اللائقة للأنبياء ـ عليهم السلام ـ من كل الشوائب والانحرافات التي أُلحقت بهم، وذلك في ضوء الكتاب والسنة[2].

(14) ـ الحوار الإسلامي المسيحي يفيد فائدة مباشرة وفعّالة في دعم مفهوم التعايش السلمي المشترك بين المسلمين والمسيحيين في البلاد التي يجتمع فيها أهل الديانتين الإسلامية والمسيحية[3].

(15) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لكسر حواجز التهيب والحذر والشك التي غلّفت علاقة المسلمين والمسيحيين عبر قرون طويلة، حتى لا تبقى المعاملة بينهما معاملة مجاملة وترقيع، في بلد يحتويهما[4].

(16) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لتدعيم مفهوم الوحدة الوطنية، في بلد يعيش فيه المسلمون والمسيحيون، ويواجهون عدواً مشتركاً[5].

(17) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لحل المشاكل التي تحدث بين الحين والآخر فيما بين المسلمين والمسيحيين في العالم[6].

---

(1) انظر: ندوة المسيحية والإسلام في لبنان (ص209).

(2) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص16). وعيسى يبشر بالإسلام (ص16).

(3) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (ص1/ 556). وندوة المسيحية والإسلام في لبنان (ص14). وموقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص486) (ص496).

(4) انظر: التعايش السلمي بين الأديان، ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة الجهاد، العدد(95)، عام (1991م)، (ص6). وموقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص484). والدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 571). والمؤتمر الإسلامي المسيحي في قرطبة، مجلة العربي، العدد (223)، (1977م) (ص50).

(5) انظر: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية (ص484). ومجلة الوعي الإسلامي، العدد (211)، السنة (18)، أيار (1982م)، (ص87). وعيسى يبشر بالإسلام (ص21).

(6) انظر: رسالة إلى البابا بولس السادس (ص52).

(18) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لمواجهة الإلحاد في العالم[1].

(19) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة للسعي المشترك من أجل حماية ومواجهة الأخطار التي تهدد البشرية بسبب الحروب، وحماية الإنسان من الفناء بالأسلحة التدميرية الحديثة[2].

(20) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة إعلامية يمكن للمسلمين أن يستغلوها لصالح نشر دينهم، والوصول إلى جماهير المسيحيين في العالم، بسبب أن وسائل الإعلام العالمية اليوم غالباً ما تكون موجهة لمصلحة الصهيونية العالمية والعالم الغربي.

(21) ـ يجب على المسلمين السعي إلى تنظيم مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي، لتوجيهها توجيهاً إسلامياً، حيث تنتزع المبادرة والسيطرة الغربية المسيحية على مسار تلك الحوارات، إذ غالباً ما تكون الجهات المسيحية الغربية هي المنظمة للمؤتمرات[3].

ثانياً: الأهداف الحقيقية التي يجب السعي إلى تحقيقها من الحوار:

بناء على ماسبق عرضه من آراء العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين الذين يؤيدون الحوار الإسلامي المسيحي، ويرون فيه فوائد وأهدافاً للمسلمين في العالم، يجب السعي لتحقيقها عبر الحوار، لابد من تأكيد بعض النقاط التي يمكن اعتبارها أهدافاً حقيقية، يمكن للمسلمين أن يضعوها نصب أعينهم، في كل حوار من حواراتهم مع المسيحيين، وهذه الأهداف هي:

(1) ـ الحوار الإسلامي المسيحي هو في الحقيقة تطبيق لمبدأ جهاد الدعوة

---

(1) انظر: ندوة المسيحية والإسلام في لبنان (ص200). والدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 560).

(2) انظر: القرآن والإنجيل في كفتي الميزان (ص23). والدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (2/ 970) و (1/ 545). وعيسى يبشر بالإسلام (ص16).

(3) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (1/ 575).

إلى الله تعالى، لأن جهاد السيف قد توقف منذ أمد بعيد لنشر الإسلام في بقاع الأرض، والبديل الوحيد ـ حالياً ـ عن نشر العقيدة الإسلامية بالجهاد، هو الدعوة إلى الله تعالى، باللسان والقلم.

والحوار الإسلامي المسيحي هو مجال عظيم، ومناخ مناسب يمكن للمسلمين أن يستفيدوا منه بكل حرية لتحقيق أحد فرائض دينهم الحنيف، وهو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

(2) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة فعّالة يمكن للمسلمين أن يستخدموها في البلاد والمناطق الإسلامية التي تواجه هجمات تنصيرية، وحملات تبشيرية، تجند لها أضخم الإمكانيات المادية والمعنوية، من قبل الكنيسة في العالم، لتحويل المسلمين عن دينهم.

فيأتي الحوار الإسلامي المسيحي لدعم المسلمين معنوياً تجاه هذه الحملات الشرسة، حيث تظهر حقيقة المسيحية الزائفة، التي تبشر بها الكنيسة بين المسلمين فيكون ذلك عاملاً مهماً وأساسياً يعطي للمسلمين ثقة أكبر بدينهم، ووعياً أوسع بما يخطط لهم، وتنهار بذلك تلك الجهود التنصيرية.

(3) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة فعّالة ليلتقي المسلمون والمسيحيون، الذين يعيشون في بلد واحد، لأجل جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف لمواجهة عدو مشترك يتهدد المسلمين والمسيحيين في ذلك البلد على السواء.

(4) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة فعّالة لمنع حدوث الفتن الطائفية، التي يمكنها أن تمزق كيان الأمة الواحد، التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون، حيث تستغل بعض الجهات الخارجية هذا الواقع، لبث بذور الفتن والشقاق والتناحر، بين أبناء الوطن الواحد، بحجة هذا مسلم، وهذا مسيحي، الأمر الذي يؤدي إلى تقسيم ذلك الوطن إلى دويلات متفرقة، أو يؤدي إلى حروب داخلية متواصلة، كما حدث في لبنان الذي عاش خمس عشرة سنة (1975ـ1990م) داخل لهيب ودمار هذه الحروب.

وهنا لابد من الإشارة إلى ملاحظة مهمة، وهي: أنه إذا فكّر بعض المسيحيين الذين يعيشون بين المسلمين، إذا فكر هؤلاء في بعض الأوقات بطلب الحماية

لأنفسهم من قبل الدول الأجنبية عنهم، بحجة الخوف على مصيرهم وحقوقهم بين المسلمين.

فإن هذا التفكير خاطىء، ومنحرف، حيث أثبتت التجارب والوقائع التاريخية أن المسيحيين الذين يعيشون مع المسلمين في بلادهم لا سند لهم مطلقاً، ولا حماية لحقوقهم، ولا تأمين لمصيرهم إلا من قبل المسلمين.

والسبب في ذلك هو أن المسلمين عندما يدافعون عن المسيحيين في بلادهم ويحمونهم من شتى الأخطار، إنما يفعلون ذلك بدافع ديني منهم، وفرض شرعي عليهم، نابع عن عقيدة راسخة بأن المسيحيين معهم إنما هم في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ؛ على حين أن الدول الأجنبية التي تدّعي أنها تريد حماية المسيحيين في بلاد المسلمين، إنما تفعل ذلك بدوافع استعمارية، ولأجل مصالح سياسية واقتصادية وغيرها.

وقد وعي المسيحيون في البلاد الإسلامية هذه الحقيقة، وفهموها حق الفهم، فمن ذلك الوعي على سبيل المثال أنه عندما دخلت فرنسة إلى بلاد الشام مستعمرة لها في عام (1920م)، وأوجدت دولة سورية، ودولة لبنان، وكل ذلك بحجة وادعاء حماية الأقليات المسيحية في بلاد الشام، وقف (فارس الخوري) وهو من أكبر رجال الفكر والسياسة المسيحيين آنذاك في سورية، وقف في جامع بني أمية الكبير في دمشق، ضمن احتفال أقامه المسلمون ضد الوجود الفرنسي، وخطب قائلاً: «إن مبرر وجود فرنسة في هذه البلاد هو حماية النصارى، أنا نائب النصارى، فارس الخوري، أطلب الحماية منكم أيها المسلمون وأرفضها من فرنسة»[1].

وقد جاء في كتاب (من يحمي المسيحيين العرب؟) وهو دراسة وتحليل تاريخي وواقعي، حتى عام (1985م)، إثبات من قبل الكاتب ـ وهو المسيحي الماروني ـ أنه لا يمكن أن تأتي دول أوربة الغربية باسم المسيحية لحماية المسيحيين في بلاد المسلمين التي يعيش فيها المسيحيون، ولا يمكن ـ لما يسمى دولة اسرائيل ـ أن تدّعي أنها دخلت لبنان عام (1982م) بحجة حماية المسيحيين فيها.

---

(1) المسيحيون العرب (ندوة) (ص31).

وإنما الحماية الحقيقية للمسيحيين في البلاد العربية هي اتجاه المسيحيين للتلاحم والتفاهم مع المسلمين في هذه البلاد، ليتابعوا سوية المسيرة التاريخية الرائعة في التآخي الإنساني، والتعايش السلمي، الذي سجله المسلمون والمسيحيون في هذه البلاد عبر العصور التاريخية المتوالية[1].

(5) ـ الحوار الإسلامي المسيحي يمكن توجيهه لإظهار الحقائق المتمثلة في الدين الإسلامي الحنيف، ومحو الصورة المشوهة له عند غير المسلمين، ومواجهة كل الافتراءات والادعاءات والتشويهات الباطلة التي ألحقها أعداء الإسلام به.

وبهدف عرض قدرة الإسلام على مواكبة كل تطورات العصر الحديث، وتقديمه للحلول المناسبة لكل المشاكل والمآزق التي تواجه البشرية حالياً، في شتى مجالات الحياة الإنسانية.

(6) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لعرض المسيحية الحقيقية على المسيحيين في العالم. وذلك بتوضيح الأخطاء والانحرافات التي وقعت بها الكنيسة المسيحية، فحرفت المسيحية الأصلية التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ.

المبحث الثالث

قضية وحدة الأديان، مفهومها، ومخاطرها

المطلب الأول

المقصود من القول بوحدة الأديان، وتاريخها، وأسسها

ظهرت قضية وحدة الأديان بشكل واضح في عقد السبعينات والثمانينات من هذا القرن، ويمكن إجمال مفهومها وفق مايلي:

يعني القول بوحدة الأديان ـ وبخاصة السماوية ـ أن كل الناس الذين لهم دين

---

(1) انظر كتاب: من يحمي المسيحيين العرب؟. تأليف: فيكتور سحاب.

يعتقدون به، ويؤمنون بتعاليمه، ويسيرون على شرائعه ومنهجه، هم أناس مؤمنون عند الله تعالى، ولا فرق بينهم، ولاخوف عليهم، ولا هم يحزنون.

وهناك دعوة إلى وحدة أديان مصغرة، تتعلق باليهودية والمسيحية والإسلام، وتسمى وحدة الأديان السماوية، وتسمى الديانة التي تجمع هذه الأديان الثلاثة الديانة (الإبراهيمية)، نسبة إلى سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ إذ لا يوجد شيء يحمل اليهودي على أن يؤمن برسالة غير رسالة موسى ـ عليه السلام ـ ولا شيء يدفع المسيحي على أن يترك ما عنده من كتاب ليدين بغيره[1].

ويحاول أصحاب هذه الدعوة البحث عن جذور تاريخية لها، ويريدون أن يثبتوا أن هناك الكثيرين من الذين نادوا بها، وبخاصة من المسلمين، وهذا عرض تفصيلي لفكرة وحدة الأديان، وتاريخها، وأسسها، وانتشارها، ودعاتها:

أولاً: بدء ظهور فكرة وحدة الأديان:

ظهرت هذه الدعوة من خلال بعض الموضوعات التي بدأ المستشرقون الأوائل بدراستها، وعرضها، وبخاصة الفكرة القائلة بأن أصل الديانة الإسلامية هي اليهودية والمسيحية.

ثم بدأ السعي لنشر فكرة وحدة الأديان بين المسلمين، وذلك في مطلع هذا القرن، حيث قام أحد المستشرقين الفرنسيين بصفة مبعوث للحكومة الفرنسية بعرض هذه الفكرة على علماء الأزهر الشريف، وكان من بين الشيوخ الذين التقاهم هذا المستشرق، وعرض عليهم فكرة وحدة الأديان، الشيخ حسن الطويل من علماء الأزهر، حيث كان من جملة كلامه قوله: «إن الفروق بين الأديان الحالية لا تتجاوز مسألة هينة غير أساسية، وإن الغرض من الأديان هو الدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر»[2].

---

(1) انظر: الإسلام والأديان (ص7).

(2) الإسلام والحضارة الغربية (ص182).

إلا أن هذه الفكرة لم تلق من علماء الأزهر آذاناً صاغية، ولم تجد لها سبيلاً للظهور.

وفي تاريخ (31/ 3 ـ وحتى 4/ 4/ 1970م) عقد مؤتمر ـ تحت إشراف معبد التفاهم الروحي ـ باسم مؤتمر القمة الروحي الثاني، وذلك في جنيف بسويسرة، ومعبد التفاهم هذا، هو منظمة دولية عالمية، أنشأها (ديكرمان هوليستر)، في مدينة نيويورك، عام (1960م)، هدفه: تدعيم التفاهم بين الأديان العظمى وتوجيه برامجها لمن يتبعون أديان العالم، وتدعيم التفاهم بين قادة هذه الأديان وفقهائها.

وقد وضع مؤتمر القمة الروحي خطة بعيدة المدى لإنشاء بناء رمزي، في الولايات المتحدة الأمريكية يعرف باسم (معبد التفاهم)، وتشجيع بناء معابد مماثلة في مختلف أنحاء العالم، تكون مراكز تعليمية، وأنشطة للأديان، مشتركة على المستوى العالمي[1].

ثانياً: دور الماسونية العالمية، في بعث فكرة وحدة الأديان:

كان للماسونية العالمية[2]، دور واضح أيضاً في الدعوة إلى إلغاء الأديان، وإن ديانة واحدة، ضمن ما يسمى الوحدة الإنسانية العالمية.

إذ جاء في تصريحات بعض زعمائها، وقرارات محافلها مايلي: «إن الماسونية اتفاقية دنيوية، تهدف إلى التساند، وتقصد إلى الرفعة الأخلاقية، ودستورها الحرية والمساواة والإخاء، ولا تتخذ من اختلاف الدين والعرق واللغة أساساً للتفريق بين أعضائها»[3].

---

(1) انظر: الإسلام والأديان (ص36). ومن الذين دعوا لبناء مجمع للأديان الرئيس المصري السابق (أنور السادات)، إذ عرض مشروع إقامة مجمع للأديان اليهودية والمسيحية والإسلام في صحراء سيناء بعد انسحاب الصهاينة منها.

(2) الماسونية منظمة صهيونية سرية عالمية، تخدم مصالح الحركة الصهيونية العالمية، انظر لمحة موجزة عنها: الماسونية ذلك العالم المجهول (ص16) ومابعدها. وموسوعة السياسة(5/ 657).

(3) أسرار الماسونية (ص23).

وجاء أيضاً في قرارات محافلها: «. . . كما أنه لا يوجد إلا حق واحد طبيعي، مصدر كل الحقوق والشرائع الوضعية، كذلك لا توجد إلا ديانة واحدة عمومية، تحتوي ضمنها كل الديانات الخصوصية في العالم، فتلك هي الديانة التي تعلن بها الدول إذا نادت بحرية الأديان»[1].

ثالثاً: إندونيسية وفكرة وحدة الأديان:

ومن ضمن بوادر فكرة وحدة الأديان ما جاء في الدستور الذي وضع في عام (1945م) في جمهورية إندونيسية المسلمة، ضمن ما يسمى قانون (البانشاسيلا)، والذي يعتمد على فكرة (الأعمدة الخمسة)، وهي:

(1) ـ الربانية المتفردة.

(2) ـ الإنسانية العادلة.

(3) ـ القومية الإندونيسية.

(4) ـ الديمقراطية الشعبية.

(5) ـ العدالة الاجتماعية[2].

وقد اعتبر هذا القانون الوحدة القومية الإندونيسية فوق كل الأديان، وساوى بين الأديان الموجودة في إندونيسية، وطالب أتباعها بالاندماج والتسامح فيما بينهم. وقد تمثلت تلك الوحدة الدينية بإقامة مجمع للأديان الموجودة في إندونيسية، وهي الإسلام والمسيحية والبوذية والهندوسية. حيث أقيم مسجد وكنيسة ومعبد بوذي ومعبد هندوسي، في أوسع ساحات العاصمة جاكرتا.

ومن الاتجاهات الخطيرة التي سلكتها وحدة الأديان هذه، الدعوة إلى إلغاء كل القوانين التي تحرم زواج أحد من أتباع هذه الأديان بآخر، وذلك لأجل تحقيق الاندماج الكامل بين أبناء المجتمع الإندونيسي.

---

(1) الماسونية ذلك العالم المجهول (ص228).

(2) انظر: قانون البانشاسيلا في إندونيسية، مجلة الأمة، العدد (7)، عام (1981م)، (ص41). ودستور جمهورية إندونيسية، لعام (1945م)، (ص7).

وفعلاً قامت الكنيسة هناك بحملات واسعة جندت لها الكثير من الإمكانيات المادية والإعلامية، تحث على زواج المسلمين بالمسيحيين، وكان التركيز على إباحة زواج المرأة المسلمة بالرجل المسيحي.

وقد حققت الحملة بعض أهدافها، إذ تم تسجيل (239) حالة زواج بين مختلف الأديان، في السجل المدني ضمن محافظة جاكرتا فقط، من بين (27) محافظة، وذلك خلال الفترة الواقعة بين الشهر الرابع من عام (1985م) والشهر السابع من عام (1986م)، وذلك وفق مايلي:

(127) حالة زواج بين امرأة مسلمة ورجل مسيحي.

(112) حالة زواج بين رجل مسلم وامرأة مسيحية أو هندوسية أو بوذية[1].

رابعاً: وحدة الأديان ودور روجيه غارودي في الدعوة إليها:

ظهرت الدعوة إلى وحدة الأديان السماوية، والتي أطلق عليها اسم الديانة (الإبراهيمية)، بعد تأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات، في جنيف عاصمة سويسرة، عام (1976م)، وذلك بناء على الدعوة التي عرضها الفليسوف الفرنسي روجيه غارودي قبل إسلامه في مجلة البدائل الاشتراكية، عام (1974م)، بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية[2].

وفي عام (1977م) أصدر غارودي كتاباً بعنوان (في سبيل حوار الحضارات)[3].

بدأ فيه بإشارات إلى وحدة الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، وأن الأصل فيها هو دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

ثم أخذت هذه الفكرة بالانتشار عقب إسلام الفيلسوف الفرنسي غارودي، في جنيف عام (1983م)، إذ أنشأ في إسبانية (مركز البحوث الإسلامية في قرطبة)،

---

(1) انظر: Panji Masyaradat,No.510,21 Juli,1986,P.14.

(2) انظر: من الإلحاد إلى الإيمان (ص87) و(ص133). و: لماذا أسلمت؟ (ص73)، وانظر: الإسلام في الغرب (قرطبة عاصمة الروح والفكر) (ص 254).

(3) انظر: من الإلحاد إلى الإيمان (ص83).

بمساعدة (المعهد الدولي لحوار الحضارات)، وذلك في عام (1986م)[1].

وبتاريخ (20ـ25/ 9/ 1986م) عقد المركز المذكور في قرطبة ندوة بعنوان:

(إبراهيمية كبيرة)، بدأت فيها فكرة الديانة الإبراهيمية واضحة، من خلال الأبحاث التي تناولتها الندوة[2].

وقد وجه علماء الأزهر انتقادات شديدة لهذا المركز، (مركز البحوث الإسلامية في قرطبة)، بسبب أنه يضم بين الأعضاء العاملين فيه عدداً من غير المسلمين، إذ إن منصب الأمين العام للمركز يشرف عليه مسيحي إسباني، ومن غير المعقول أن يكون المركز مركزاً للبحوث الإسلامية، ويشرف عليه مسؤولون من غير المسلمين[3].

وأما خلاصة هذه الفكرة فهي مايلي:

إن الدين الإسلامي هو دين مشتق أساساً من اليهودية والنصرانية، وليس هناك تناقض بين الجميع، فهم منتسبون إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ والقرآن الكريم نفسه قرر ذلك، حينما قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123].

فالمسلم يتبع ملةَ إبراهيم، واليهودي والنصراني ينتسبون إلى إبراهيم أيضاً، فلا معنى لأن تكون هناك فوارق تناقضية بين هذه الديانات الثلاث[4].

فالإسلام هو دين الجمع والتوحيد بين هذه الديانات، وذلك بناء على المعطيات التالية:

(1) ـ النبي محمد ﷺ لم يأت بدين جديد، وإنما دعا إلى العقيدة الجوهرية التي دعا إليها إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

يقول غارودي في ذلك: «لم يدَّع النبي محمد ﷺ أبداً أنه جاء بدين جديد، وإنما يواصل ويجدد تلك العقيدة الأصلية التي كان يجد لها في عقيدة إبراهيم التعبير الأمثل»[5].

---

(1) انظر: المرجع السابق (ص230).
(2) انظر: المرجع السابق (ص232).
(3) انظر: الإسلام والأديان (ص15).
(4) انظر: الإسلام والأديان (ص12).
(5) وعود الإسلام، (ص25) و (ص30).

ويستشهد على هذه النقطة بآيتين، الأولى قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9]. والثانية قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: 43].

(2) ـ النبي محمد ﷺ أتى مكملاً للديانة الإبراهيمية، ومذكّراً اليهودية والمسيحية بها، فليس الإسلام إلا وريثاً للتقاليد الإبراهيمية، والأديان عبر مراحلها التاريخية كانت في تواصل دائم فيما بينها.

ويظهر أيضاً من قول غارودي: «وقد تمثلت تعاليم الإسلام ما جاء في اليهودية والمسيحية، فما علينا إلا أن نغوص في قلب هذه التعاليم، وأن نلغي ما تسرب إليها من تحريف وتشويه، ناظرين إلى النبوات السابقة للإسلام على أنها جزء لا يتجزأ من النبوة الكونية الشاملة»[1].

ويقول أيضاً: «الإسلام تتويج لذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد دعا الإنسان من خلال اليهودية والمسيحية والإسلام إلى البحث عن غايته العليا، وإلى تحقيقها»[2].

خامساً: الهدف من وحدة الأديان عند دعاتها:

يرى أصحاب فكرة وحدة الأديان، وبخاصة الإبراهيمية منها أن لهذه الفكرة والدعوة فوائد وحكماً كثيرة، تتمثل بعد هدف التخلص من التنافر والتناقضات بين البشر[3] فيما يلي:

(1) ـ لهدف أن يتعلم كل واحد شيئاً من الآخر، وبخاصة الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، لأنهم ينتسبون إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ[4].

(2) ـ لأجل إقامة تجربة مشتركة من الإيمان، ولأجل الوصول إلى شكل من أشكال الحرية الدينية الرفيعة.

---

(1) لماذا أسلمت؟ (ص113).
(2) لماذا أسلمت؟ (ص109).
(3) انظر: الإسلام والأديان (ص11).
(4) انظر: نداء إلى الأحياء (ص249).

(3) ـ لإقامة مجتمع إنساني عالمي، يلفه إيمان واحد، ويحتوي على عقائد كل الشعوب وثقافتها، من ملة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، إلى حِكَم وتعاليم الهندوسية والبوذية والمزدكية[1].

سادساً: البحث عن جذور إسلامية لفكرة وحدة الأديان:

هناك إشارات واضحة تظهر عند دعاة وحدة الأديان، إلى أن هذه الفكرة لها جذور إسلامية، عند فلاسفة المسلمين، أو عند طائفة من المتصوفين منهم.

إذ يرى غارودي في بعض الأبيات المنسوبة إلى الشيخ محي الدين بن عربي[2]، يرى فيها دعوة واضحة لوحدة الأديان بين البشرية، حيث تقول هذه الأبيات[3]:

لقَد كُنتُ قبلَ اليومِ أُنكِرُ صاحِبي ... إذا لـم يكُـنْ دِينـي إلـى دينِـهِ دانِ
لقدْ صارَ قلبي قابلاً كلَ صورةٍ ... فمرعىً لغُزلانٍ، وديرٌ لرُهبانِ
وبيـتٌ لأوثـانٍ، وكعبـةُ طـائـفٍ ... وألـواحُ تـوراةٍ، ومصحـفُ قُـرآنِ
أدينُ بدينِ الحُبِّ أَنَىٰ توجَهَتْ ... ركائِبُهُ، فالحبُ ديني وإيماني

وأيضاً يرى غارودي في القول المنسوب إلى الشيخ جلال الدين الرومي[4]، دعوة لوحدة الأديان، وهو قوله: «لست مسيحياً، ولا يهودياً، ولا فارسياً مجوسياً، ولا مسلماً، لست من الشرق، ولا من الغرب، مكاني هو أنني من دون مكان، وأثري هو ما ليس له أثر... أعرف الأحد، أرى الأحد، أتضرع إلى الأحد، هو المبدأ، وهو النهاية، هو الخارج، هو الداخل»[5].

---

(1) 1) انظر: لماذا أسلمت؟ (ص116).
(2) توفي الشيخ محي الدين بن عربي (638هـ/ 1240م). انظر: فوات الوفيات (3/ 435).
(3) انظر: فصوص الحكم (2/ 289)، نقلاً عن ديوان (ترجمان الأشواق) لابن عربي، وانظر: نداء إلى الأحياء (ص221).
(4) توفي الشيخ جلال الدين الرومي (672هـ/ 1273م). انظر: كشف الظنون (2/ 1527).
(5) نداء إلى الأحياء (ص222).

ويعقب غارودي على هذه الأقوال بمايلي:

أ ـ «أولئك هم روّاد، وأساتذه الحوار بين الحضارات والإيمان، ليس من نزعة إلى التنويع، ولكن في حاجة إلى الكمال: التوحيد من دون مزح، التمييز من دون تعارض، هذا هو أسهل الطرق للإخصاب المتبادل، وللإغناء المشترك»[1].

ب ـ «إن هذا الانفتاح لتقبل كل شيء، وهذا التقبل للتدفق الجديد في كافة الأديان، التي كان ينظر إلى كل واحد منها بأنه مرحلة في الملحمة الإنسانية، في الخلق المستمر للإنسان من قبل الله، الساكن فيه... إن هذا كله يجعل من الإسلام أعظم قوة للتكامل الروحي»[2].

ويستشهد غارودي أيضاً بعبارة وردت في كتاب المراحل للأمير عبد القادر الجزائري[3]، التي تتحدث عن انفتاح الإسلام، وهي: «إذا خطر ببالك أن الله هو ذاك الذي يُسَلِّمُ به كل طوائف المسلمين، والمسيحيين، واليهود، والزرادشتيين، أو ذاك الذي يُسلِّمُ به المؤمنون بتعدد الآلهة، وغيرهم من أتباع الديانات، فاعلم أنه: هو ذاك، بل هو في الوقت نفسه شيء آخر غير ذلك»[4].

سابعاً: الدعوة إلى عدم إلغاء الأديان السابقة للإسلام والاستفادة منها:

يدعو غارودي المسلمين كافة إلى دراسة التوراة والإنجيل دراسة واعية، للأخذ من روحانية الكتاب المقدس[5].

وقد لقيت هذه الدعوة إلى عدم إلغاء الأديان السابقة والأخذ منها، وإلى وحدة الأديان، لقيت آذاناً صاغية بين فئة من المسلمين، منهم في مصر الكاتب المسرحي القصصي توفيق الحكيم، الذي تعرض لفكرة وحدة الأديان، واعتبار كل الناس

---

(1) المرجع السابق (ص222).
(2) وعود الإسلام (ص140).
(3) توفي الأمير عبد القادر الجزائري (1300هـ/ 1883م). انظر: الأعلام (4/ 45).
(4) لماذا أسلمت؟ (ص115).
(5) انظر: وعود الإسلام (ص213).

مؤمنين، وذلك في بعض مقالاته التي نشرتها له صحيفة الأهرام، ابتداء من تاريخ (1/ 3/ 1983م)، تحت عنوان: «مع الله... ثم إلى الله». وهي عبارة عن حوار تخيله الكاتب بينه وبين حضرة الله تعالى.

وقد كان مما جاء في تلك المقالات قوله عن العلماء الذين يبحثون في العلوم الطبيعية والتقنية، دون أن يؤمنوا بالله تعالى عن طريق النطق بالشهادتين، ومع ذلك فهو يعتبرهم مؤمنين، فيقول: «... ولكن ياربي، بعض رجال الدين عندنا يرون غير ذلك، يرون مصير هؤلاء العلماء من غير المسلمين النار، لأنهم لم يقولوا: (لا إله إلا الله) شهادة لغوية... مع أن العلماء قالوها بالممارسة وليس باللفظ»[1].

وفي معرض كلامه عن الكتب السماوية السابقة يقول الكاتب توفيق الحكيم:

«مع أن القرآن خاتم كتبك السماوية [يخاطب حضرة الله تعالى] فما قصدك من ذلك ـ بقدر علمي وفهمي ـ تريد أن نتذكر دائماً أن ما خلقت وأوجدت في الماضي لا تريد إلغاءه أو إعدامه... إنما أنت تضيف، وتعدّل، ولا تلغي ما أوجدت»[2].

ويتابع الكاتب كلامه في نفس الاتجاه، عندما يذكر الآية الكريمة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: 68]. فيقول الكاتب: «ولذلك أعتقد أنك تحب من رجال الدين أن يقرؤوا كذلك كل الكتب السماوية الأخرى، فإذا امتنع عن ذلك أهل الإسلام بحجة التحريف في تلك الكتب السماوية الأخرى، فليحددوا أماكن التحريف فقط، وينبهوا إليها، ويمضوا في قراءة الباقي الذي لا ريب فيه»[3].

ويقول أيضاً: «ولقد أرادت حكمتك حثّ المسلمين على قراءة كتبك السماوية للتقريب بين أديانك، كما لم تفرق بين أجناس مخلوقاتك»[4].

---

(1) الإسلام والأديان (ص22).
(2) المرجع السابق (ص24).
(3) الإسلام والأديان (ص24).
(4) المرجع السابق (ص25).

ثامناً: الأسس التي وضعها دعاة وحدة الأديان لفكرتهم:

يرىٰ دعاة فكرة وحدة الأديان أن هناك أسساً لدين المستقبل، أو ما سمّوه الديانة الإبراهيمية الجديدة الواحدة، وهذه الأسس تتلخص فيمايلي:

1) ـ الإيمان بالله تعالىٰ.

2) ـ العمل الصالح في الحياة.

3) ـ الإيمان باليوم الآخر.

أما غير ذلك من قضايا العقيدة والتشريع والعبادة والأخلاق فهو خارج علمهم وأمره مفوض إلى ربهم، وبهذه الأسس يرون أن الناس سوف يعيشون تحت ظلال السعادة الدائمة.

ولذلك يقول دعاة هذه الفكرة ـ معترضين على جمهور المسلمين بسبب عدم اعتبارهم أهل الكتاب مؤمنين ـ: «ماذا لو وقف أهل الكتاب من أتباع شرائع الرسل، الذين سبقوا محمداً ﷺ، عند التصديق برسالة رسلهم؟!... وأبوا التصديق برسالة محمد ﷺ، ونبوته، مع توحيدهم لله تعالى، وعملهم الصالح، إنهم بذلك الوقوف، وهذا التوقف، لا يخرجهم من إطار الدين الإلهي الواحد، ولا من حظيرة الإسلام»[1].

ومن أقوالهم في هذا الاتجاه: «... النجاة من الخوف والفزع، ونيل المثوبة والأجر، أمران منعقدان بأن يؤمن الإنسان بالله، واليوم الآخر، وأن يأتي من الأعمال ما هو لصلاح الدنيا والآخرة، فمن فعل هذا فله أجره عند ربه، ولا خوف عليه، ولا حزن، لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة إبراهيم، ومن كانوا على دين غيره من الأنبياء، كموسى وعيسى، بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الأديان»[2].

وإلى هذه المعاني يشير غارودي بقوله: «لقد حان الوقت للقول بوضوح: إن

---

(1) الإسلام والأديان (ص41).

(2) انظر: المرجع السابق (ص41) نقلاً عن كتاب: دين الله واحد.

المرء يكون هندوسياً، أو بوذياً، أو يهودياً، أو مسيحياً، أو مسلماً، ليس بما يعتقد، وإنما بما يفعل، وانطلاقاً من هنا، أن نقدر ما تقدمه كل عقيدة دينية لتأنيس الإنسان»[1]. ثم يستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: 48].

وقبل الانتهاء من هذا العرض لمفهوم فكرة وحدة الأديان، والبدء بنقضها، لابد من الإشارة إلى أن هذه الفكرة لها ارتباط من حيث نشأتها بجهات مشبوهة، ويراد منها إذابة الإسلام باعتباره ديناً له استقلاليته، ومن هذه الدلالات وتلك الدعوات من قبل رجال الفكر والسياسة في أوربة وأمريكية، لأجل تبني هذه الفكرة، فمن تلك الدعوات رسالة أرسلها (مدير معهد بحوث الثقافة الدولية)، في جنيف، هانز فيشر برينكول، التي أرسلها إلى أحد علماء المسلمين في مصر كان مما جاء فيها: «لقد حاولت بدعم من أصدقاء عرب، يغلّبون الموضوعية على العاطفة، شرح المبادىء والتراتيب التي نذيعها وفقاً لأنظمة المعهد، مؤكداً أن رائدنا الوحيد في سبيل إرساء أسس متينة للعمل المشترك والموضوعي، وتوحيد كل الطاقات الجدية والكفاءة، وجمع شملها، بغض النظر عن الديانة والجنس والمجتمع الذي ينتمون إليه[2]، . . . تراني الآن منكباً على تدوين كتاب هو عبارة عن تأملات تاريخية، ودينية، وفلسفية، حول المصير المشترك لذرية إبراهيم الخارجة عن الطاعة، وهي تأملات تحاول فهم التوراة والإنجيل والقرآن على أنها شواهد للوحي الإلهي»[3].

---

(1) نداء إلى الأحياء (ص220).

(2) يلاحظ هنا: التوافق في الأفكار مع تصريحات زعماء الماسونية الذي سبق عرضه في (ص346) من هذا الكتاب.

(3) الإسلام والأديان (ص14).

المطلب الثاني

نقض القول بوحدة الأديان، وبخاصة السماوية، بالمفهوم الذي عرض سابقاً

أولاً:

إن القول بوحدة الأديان بالصورة والمفاهيم السابقة التي عرضت، هو وجه جديد، ووسيلة حديثة لتدمير الديانة الإسلامية من أساسها، إذ هو محاولة لتذويب الإسلام الدين المستقل، فيما يسمى الديانة الإبراهيمية، على أساس أن النبي محمداً ﷺ لم يأت بدين جديد، وإنما الدين الذي أتى به هو صورة مكررة عن الديانة الإبراهيمية القديمة، والتي تولد عنها كل من الديانة اليهودية والديانة المسيحية، ومن ثم فلا ميزة للإسلام دين محمد ﷺ أبداً أمام هذا المفهوم.

وإن نقض هذا الكلام يجب أن يتوجه بالدرجة الأولى إلى بيان الاستدلال الخاطىء بالشواهد القرآنية، المبتورة عن سياقها الذي وردت فيه، وأيضاً توجيه النقض إلى أن الأدلة التي يأتي بها أصحاب هذا الرأي من القرآن الكريم، إنما هي صورة مجزأة للقرآن الكريم، دون النظر إلى مجمل القرآن الكريم الذي يفسر بعضه بعضاً، وكأن هؤلاء المستدلين بجزء من القرآن الكريم، والتاركين لأجزائه الأخرى، قد وقعوا فيما حذر منه القرآن الكريم، وهو تقسيم القرآن لأقسام، ثم الاستدلال بجزء منه دون الآخر، فنعى القرآن الكريم على هؤلاء بَتْرهم لآياته الكريمة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 90-93]. أي جعلوا القرآن الكريم أجزاء وأعضاء، يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض.

إذاً فقد استشهد دعاة فكرة وحدة الأديان بآيات قرآنية مبتورة عما قبلها وعما بعدها، أو أنهم لم ينظروا إلى القرآن الكريم على أنه كل لا يتجزأ، أو أنهم فسّروا الآيات التي استشهدوا بها تفسيراً خاطئاً، والحالات الثلاث خطيرة على كيان الدين الإسلامي كله، ويتضح ذلك وفق مايلي:

(أ) ـ استدلالهم بقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62].

سبق تبيين الهدف من هذه الآية الكريمة في الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث[1]. ولا مانع من توضيح أيضاً لهدف هذه الآية هنا.

الآية الكريمة تخبر عن الذين كانوا في زمن النبي محمد ﷺ من اليهود والنصارى، والصابئين، وأيضاً المسلمين بأنهم جميعاً بعد إيمانهم برسالة النبي محمد ﷺ ونبوته، فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والذين كانوا قبل مبعث النبي محمد ﷺ من مؤمني أهل الكتاب والصابئين، الذين آمنوا بما جاءتهم به رسلهم من عند الله تعالى، واستمروا على ذلك الإيمان بعد رسلهم ـ عليهم السلام ـ دون تحريف ولا تبديل، ولا عصيان، وماتوا على ذلك قبل بعثته ﷺ فهؤلاء أيضاً مؤمنون، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون[2].

(ب) ـ استدلالهم بقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: 68].

فأهل الكتاب ليسوا على شيء من الحق حتى يعملوا بما في الكتابين اللذين عندهما، وهذه الآية لا تفيد في الاستدلال على وحدة الأديان، لأن الإيمان بما في التوراة والإنجيل يقتضي الأمر أن يؤمن أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ ثم العمل بما يوجبه ذلك الإيمان عليهم[3].

(ج) ـ الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]. وهذا لا يعني مطلقاً أن يبقى أصحاب كل دين من الديانات السابقة على شرائعهم، فلا يؤمنون بمن جاءهم من الأنبياء اللاحقين، بل المعنى أنه قد أتى زمان على أتباع كل نبي من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مشى فيه هؤلاء الأتباع على شرائع خاصة بهم في

---

(1) انظر: (ص89) من هذا الكتاب.

(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير (1/ 539).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 245).

العبادات والمعاملات وغيرها، وكانت العقيدة واحدة للجميع، وهي عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، حتى جاءهم الرسول الخاتم ﷺ فنسخ الشرائع بشريعته، وبقيت العقيدة وهي التوحيد[1].

(د) ـ الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: 123].

ولا يعني هذا أبداً أن النبي محمداً ﷺ لم يأت بدين جديد، وإنما أتى بصورة مكررة عن الديانة الإبراهيمية، كما يقول أصحاب فكرة وحدة الأديان. وإنما المقصود باتباع ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ السير على عقيدته التي سار عليها وهي التوحيد الخالص لله تعالى. إضافة إلى بعض الأحكام الشرعية التي كانت في شريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأحياها الرسول محمد ﷺ[2]. إلا ما نسخته الشريعة الإسلامية من شريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ[3].

(هـ) ـ الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: 43]. حيث قال أصحاب فكرة وحدة الأديان: إن الشريعة التي جاء بها النبي محمد ﷺ هي نفس الشريعة التي عند اليهودية والمسيحية والإبراهيمية القديمة.

والحقيقة أن الأمر الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ هو نفس الأمر الذي أنزل على جميع الأنبياء من قبله ـ عليهم السلام ـ وهو إخلاص العبادة لله تعالى، والتعلق بالتوحيد الكامل[4]. كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: 65].

ثانياً:

إن القول بوحدة الأديان هو تدخل من قبل البشر فيما لا طاقة لهم به، فالأصل في الدين أن يكون سماوياً، أي إلهياً ربانياً، فلا يحق لإنسان مهما كانت صفته أن يتألى

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 211).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (10/ 198).
(3) انظر: المرجع السابق (2/ 133).
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن (15/ 367).

على الله عز وجل، ويدعو إلى توحيد أديان الناس، بمزج عقائدهم وشرائعهم، وعباداتهم وطقوسهم، سوية وكيفما اتفق، وذلك بحجة القضاء على الخلافات الناشئة عن اختلاف هؤلاء البشر في أديانهم ومعتقداتهم.

ولقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يختلف الناس، وينقسموا إلى أديان وشيع وطوائف، لأجل أن يمتحنهم ويبتليهم، حتى يظهر من يتبع الرسالة السماوية، ممن ينقلب على عقبيه، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 118ـ119]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

ثالثاً:

هناك قضية يجب أن تكون واضحة، وهي أن الدين عبر تاريخ الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ من لدن آدم إلى محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ هو دين واحد، ولا اختلاف فيه مطلقاً، والمقصود هنا بالدين: العقيدة. أي: إن عقيدة الأنبياء والمرسلين واحدة من آدم إلى محمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وهذا هو مفهوم قول الله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

وهذا الدين الواحد الذي شرعه الله تعالى لكل أنبيائه ورسله سماه (الإسلام)، وسمى الذين آمنوا بهم واتبعوهم ونصروهم دون أن يحرفوا أو يبدلوا رسالاتهم (المسلمين).

وهذا كله واضح من خلال آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن إسلام جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم وكل المؤمنين بالله تعالى[1].

فكان الوحي الإلهي السماوي عبر التاريخ يسير دائماً في خطين:

---

(1) انظر: مادة (سلم) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

الخط الأول هو خط العقيدة. والخط الثاني هو خط الشريعة.

حيث كان خط العقيدة واحداً في أصوله وأركانه، إذ كل الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ دعوا إلى الإيمان بالله تعالى، لاشريك له، موصوف بكل صفات الكمال، ودعوا إلى الإيمان بجميع الملائكة والأنبياء والمرسلين، والكتب السماوية المنزلة، واليوم الآخر، مع كل ما يتفرع عن هذا الإيمان من قضايا ومفاهيم عقائدية، ويضاف إلى هذا الخط أيضاً الدعوة إلى مكارم الأخلاق وأصولها.

وأما خط الشريعة فكان يختلف من أمة إلى أخرى أحياناً، بحسب حالات الأمم واختلاف بيئاتها، حتى أتى النبي الخاتم محمد ﷺ فكانت عقيدته ودعوته هما نفس عقيدة الأنبياء والمرسلين ودعوتهم، ونسخت شريعته شرائع الأمم السابقة له.

رابعاً:

إن الأسس التي وضعت لما يسمى دين المستقبل، وهي:

1ـ الإيمان بالله تعالى.

2ـ العمل الصالح في الحياة.

3ـ الإيمان باليوم الآخر.

هذه الأسس أسس ضبابية في مفهومها العام، فالسؤال الأول الذي يطرح نفسه: ما هو مفهوم الإيمان بالله تعالى؟ هل هو وفق مفهوم الإسلام: وهو التوحيد الكامل لله تعالى؟ أم هو وفق مفهوم المسيحية: وهو التثليث؟ وبعبارة أخرى الإشراك بالله تعالى.

ثم أين بقية أركان الإيمان؟ من الإيمان بالملائكة، والأنبياء والمرسلين والكتب السماوية المنزلة؟!.

ثم ماهو مفهوم العمل الصالح؟ هل هو فقط تقديم الخير للناس؟ أي ما يسمى الأخلاق الاجتماعية فقط، دون وجود رأس العمل الصالح، وأساسه وهو عبادة الله تعالى الخالق للناس.

وبعد هذا كله يقول دعاة وحدة الأديان: إن أتباع كل دين من الأديان الموجودة

حالياً، لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، ولهم أجرهم عند ربهم!

وهناك تساؤلات تطرح نفسها بإلحاح، منها:

هل يُعد أهل الكتاب ـ حالياً ـ مسلمين؟ ولو لم يؤمنوا بنبوة محمد ﷺ وأنه رسول ونبي من عند الله تعالى.

هل يُعد أهل الكتاب ـ حالياً ـ مسلمين؟ ولو لم يصدقوا بالقرآن الكريم كتاباً ووحياً سماوياً، منزلاً من عند الله تعالى.

وهل يُعد أهل الكتاب ـ حالياً ـ مسلمين؟ ولم لم يتبعوا دين الإسلام: عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً.

ومن هنا تظهر عملية تقسيم القرآن الكريم إلى أجزاء، حيث يستشهد ببعض الآيات دون الأخرى.

وعندما يُدْرَس القرآن الكريم على أساس أنه وحدة كلية لا تتجزأ يظهر لكل باحث مايلي[1]:

(1) ـ القرآن الكريم ذكر أن جميع الأنبياء والمرسلين قبل بعثة النبي محمد ﷺ هم مسلمون، وقد ذكر القرآن الكريم أيضاً أن الله تعالى قد أخذ عليهم جميعاً العهود والمواثيق بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، النبي الخاتم، والرسول المنتظر، المصدّق لما معهم، وأن ينصروه إذا هم أدركوا زمانه، وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: 81ـ82].

ولذلك كان النبي ﷺ يقول لعمر ـ رضي الله عنه ـ: «لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حلّ له إلا أن يتبعني»[2].

(2) ـ اشترط الله تعالى على أهل الكتاب شرطاً حتى يكونوا مؤمنين به، ومحبين

---

(1) انظر: الإسلام والأديان (ص66) ومابعدها.

(2) رواه أحمد في مسنده (4/ 266).

له ـ سبحانه وتعالى ـ، وذلك الشرط هو اتباعهم لمحمد ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(1)

[آل عمران: 31].

(3) ـ وشرط آخر أساسي أيضاً لاستمرار وصف أهل الكتاب بأنهم مسلمون، كما كان أسلافهم زمن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هو إيمانهم، واتباعهم، وتصديقهم بمحمد ﷺ، يقول الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: 156ـ158].

(4) ـ اعتبر القرآن الكريم إيمان أهل الكتاب بالإسلام هو الهداية الحقيقية، فهو الدين الذي جاء به محمد ﷺ وآمن به المسلمون، وساروا على منهجه، بعد الرسول الكريم ﷺ، أي الإيمان بالإسلام على حقيقته السماوية التي نزلت على النبي محمد ﷺ، وكما فهمه واعتقد به المسلمون، فما سواه ليس بهداية مطلقاً، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 137].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ﴾ [آل عمران: 20].

(5) ـ أما الشرط العام لاعتبار أي إنسان ـ يهودي أو مسيحي أو غيرهما ـ مسلماً أو غير مسلم، فهو الإيمان المطلق بكل ما جاء به رسول الإسلام محمد ﷺ، يقول الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(1) وانظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (60/4). وتفسير القرآن العظيم (358/1).

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾

[محمد: 1ـ3].

وإذا اتجه الباحث إلى السنة المطهرة فسيجد ـ أيضاً ـ وضوحاً تاماً في مفهوم الإسلام، أنه إيمان بما جاء به محمد ﷺ.

فهل يمكن اعتبار أي واحد من الناس مسلماً وهو لا يعترف بأركان الإسلام الخمسة التي ذكرها الرسول الكريم ﷺ بقوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[1].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي توضح أن الإسلام كل لا يتجزأ، عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

خامساً:

إن القائلين بوحدة الأديان يرون أن هناك حِكَماً، وفوائد يمكن أن تنتج عن هذه الدعوة، فمن تلك الفوائد المرجوة:

1ـ أن يتعلم أتباع كل دين من الدين الآخر.

2ـ إقامة تجربة مشتركة للإيمان، أي السعي للاستفادة من الخبرات الإيمانية والروحية لأتباع كل دين في مساعدة الدين الآخر، ولأجل عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل.

3ـ التسابق في فعل الخيرات.

إن هذه الفوائد المزعومة تعني بوضوح أن الإسلام دين ناقص وقاصر، لذلك يحتاج المسلم أن يتعلم من أتباع الديانات الأخرى قيماً روحية، ومثلاً أخلاقية جديدة، وأيضاً يحتاج أن يتعلم طرقاً جديدة يتقرب بها إلى الله تعالى.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (1/ 11).

إن هذا الكلام يؤدي إلى تكذيب القرآن الكريم حيث قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

ثم إن القرآن الكريم ذكر أن الله تعالى قد جمع في رسالته الخاتمة، وهي الإسلام، وفي كتابه الأخير وهو القرآن الكريم، قد جمع الله فيها كل الحق، وكل الخير، وكل المعروف الموجود في الكتب السماوية، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

ثم هذه الحكم والفوائد المزعومة قد توصل إلى القول: إن الإسلام دين بشري يمكن أن ينمو ويتطور، في أسسه وأركانه وعقائده، وذلك من خلال التجارب الإنسانية، وبخاصة في مجال العقيدة، حيث يمكن للمسلم أن يأخذ من غيره، ويعطي، وذلك ليتطور دينه، ويستفيد من تجارب الآخرين، وهذا الكلام واضح خَطَؤُه، بيِّنٌ انحرافه.

سادساً:

إن القائلين بوحدة الأديان يرون أن الإيمان هو عمل قلبي فقط، ولا يلزم الإعلان به، ولا التطبيق العملي لمضمونه ومستلزماته. إذ يكفي الإنسانَ الإعجابُ بقوانين الحياة المادية، والاعترافُ ضمناً بأن هناك خالقاً لها، وحسب!

والله تعالى يؤكد في كتابه الكريم أن الإيمان هو عقيدة وتشريع وأخلاق، حيث الإيمان والعمل أمران مترابطان، متلازمان، والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة، منها قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

[الكهف: 107].

سابعاً:

إن القائلين بوحدة الأديان يطلبون من المسلمين ـ وحدهم ـ دون غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، يطلبون منهم دراسة وقراءة الكتب المقدسة الأخرى، وبخاصة التوراة والإنجيل، والاستفادة من مواعظها، وعبرها، وحكمها، والأخذ من

روحانيتها، إذ دائماً ما يعيبون على المسلمين عدم معرفتهم بروحانية الكتاب المقدس، كتاب اليهود والنصارى في العالم.

على حين أنه ـ بالمقابل ـ لا توجد أية دعوة لليهود والمسيحيين إلى قراءة القرآن الكريم، والاستفادة منه؟!!

ولكن هناك سؤالاً: أين هي روحانية اليهود؟ والجواب عندنا نحن المسلمين معروف وواضح وضوحاً تاماً: لقد وجد المسلمون روحانية اليهود حقيقة صارخة في أكوام جثث الضحايا في فلسطين، ولبنان، الذين استُشهدوا ذبحاً، وتقتيلاً، وتدميراً، على أيدي اليهود الصهاينة. أصحاب الروحانية...

ويمكن أيضاً الحصول على روحانية الغرب المسيحي من خلال النظر إلى تاريخ أسود من الحروب، وبخاصة الصليبية والاستعمار الحديث، وما خلفته من الدمار والهلاك.

ثامناً:

سبق في الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث عرض قضية تحريف الكتاب المقدس ـ التوراة والإنجيل ـ، وذلك من خلال نظرة القرآن الكريم، ولذلك لابد من التساؤل: على أي أساس يمكن للمسلم أن يقرأ الكتاب المقدس؟ ليتعرف إلى روحانية وحكم التوراة والإنجيل، وهو ـ أي المسلم ـ يعتقد بناء على كتابه أنها محرّفة، مزيفّة، مبدّلة.

والنبي ﷺ قد نهى عن قراءة تلك الكتب السماوية، وبخاصة التوراة والإنجيل، وهذا النهي محمول على عدم قراءتها للأخذ منها، وأما قراءتها لنقدها، وتبيين مواطن الزيف والتحريف التي فيها، لأجل عرض هذا التحريف والتزييف على أصحابها، لعلهم يرجعون عما فيها من الأباطيل، أو قراءتها للإشارة إلى ما فيها من البشارات بمجيء النبي الخاتم محمد ﷺ فهذا مقبول. وقد كان علماء المسلمين يقومون بهذا عبر كل مراحل التاريخ، إذ غالباً ما كانوا يستشهدون بنصوص التوراة والإنجيل، لتكون حجة أقوى في وجه أصحابها.

ومن هنا كان حديث الرسول الكريم ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن

شيء»[1]. وفي رواية: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا»[2].

ثم يبين الرسول الكريم ﷺ للمسلمين، بأنه لو كان أحد من الأنبياء على قيد الحياة في زمانه الشريف، ثم اتبعه المسلمون لضلوا عن الصراط المستقيم.

فقد ورد أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جاء إلى النبي الكريم ﷺ ومعه صحائف فيها شيء من التوراة، وقرأها على الرسول ﷺ، فتغير وجهه ﷺ، فعرف ذلك عمر، فقال للنبي الكريم: «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً». فسُرِّي عن النبي ﷺ ثم قال لعمر: «والذي نفس محمد بيده، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين»[3].

وقد سار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على هذا المنهج في التحذير من قراءة الكتب السماوية السابقة ـ التي بين أيدي أهل الكتاب ـ، وذلك خشية دخول بعض الانحرافات في عقيدة المسلمين. فمن ذلك التحذير قول ابن عباس رضي الله عنهما: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟ وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضاً لم يُشَب، وقد حدّثك أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله، وغيّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من الله. ليشتروا به ثمناً قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله، ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل إليكم»[4].

بعد هذا كله يمكن القول: إن الدعوة إلى وحدة الأديان، وبخاصة السماوية فيما يسمى الديانة الإبراهيمية، وجه جديد وخطير من وجوه محاولات احتواء الإسلام، وصهره في أتون الفلسفات العقيمة والشعارات الجوفاء، التي تفرغه من أسسه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (4/ 270).
(2) رواه أحمد في مسنده (3/ 338).
(3) رواه أحمد في مسنده (3/ 471).
(4) رواه البخاري في صحيحه (4/ 271).

وأهدافه، وعقيدته، وشريعته، وأخلاقه، فهي دعوة مرفوضة شكلاً ومضموناً وهدفاً.

والإسلام قد عرض غير هذا الاتجاه كله على سائر أبناء البشرية، وبخاصة أصحاب الديانة اليهودية والمسيحية منهم، حيث عرض عليهم وحدة الإنسانية، لا وحدة أديانها، أي عرض عليهم مفهوم التآخي الإنساني، من وجهة نظر الإسلام، حيث تعيش شعوب البشرية من خلال التفاهم المشترك، والاحترام المتبادل، من أجل معالجة مشاكل الحياة المادية المشتركة، ولبناء مجتمع إنساني بعيد عن الحروب المدمرة، والصراعات المُفنية، معتمداً كل ذلك على الحوار الهادىء، والإقناع العقلي السليم، بعيداً عن التكبر أو التعالي، مع احتفاظ الإسلام بشخصيته المستقلة، ذات السمة الإلهية.

فخير لدعاة وحدة الأديان أن يتوجهوا إلى الديانات الأخرى غير الإسلام، للدعوة إلى وحدة أبناء الإنسانية، ضد قوى الشر والظلم والاستغلال في العالم، ضد الحروب وويلاتها، ضد أعداء البيئة الطبيعية، ضد من يدمرون الإنسان دون النظر إلى إنسانيته، في سبيل بقائهم مترفين في حياتهم.

* * *

الخاتمة

الخاتمة

في نهاية هذه الجولة التي قمت بها في دراسة قضية الحوار الإسلامي المسيحي، لابد لي من الإشارة إلى أهم نقاطها، ومراحل سيرها:

عرض البحث موقف الإسلام، من خلال تعاليم القرآن الكريم، وسنة النبي محمد ﷺ، تجاه المسيحية والمسيحيين، وأوضح المعاملة السامية التي عامل بها المسلمون المسيحيين، في شتى مجالات الحياة الإنسانية، ثم أهم مبادىء الحوار مع المسيحيين.

وبعد ذلك تحدث البحث عن تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي، بعد عصر الرسول ﷺ إلى عام (1989م)، حيث تمثل هذا الحوار في الحوارات الفردية والجماعية، وعلى جميع الأصعدة والمستويات.

وأيضاً عرض البحث الموضوعات التي دار حولها الحوار الإسلامي المسيحي، وبخاصة فيما يتعلق بالديانة المسيحية، إذ أبرز بوضوح تام، وبناء على البراهين والأدلة العلمية والعقلية والتاريخية، أبرز انحراف وتزييف العقيدة المسيحية الحالية.

ثم عرض موضوعات الحوار المتعلقة بالدين الإسلامي الحنيف، وبخاصة المتعلقة بشخصية النبي الكريم ﷺ.

ثم بين البحث موقف المسيحيين من الحوار مع المسلمين، وأهدافهم منه، حيث تبين أن الهدف الأول الذي وضعه المسيحيون لحوارهم مع المسلمين هو التبشير بدينهم، والدعوة إلى عقيدتهم.

وبالمقابل بين البحث موقف المسلمين من الحوار مع المسيحيين، وأهدافهم منه، معتبراً أن الآراء التي ذكرها المعارضون لهذا الحوار هي في الحقيقة محاذير

يجب التنبيه إليها، وليست أسباباً جوهرية تدعو إلى رفض الحوار جملة وتفصيلاً.

وخُتم البحث بتوضيح فكرة وحدة الأديان وأهدافها، وأنها في الحقيقة خطر يتهدد الإسلام والمسلمين.

وهنا لابد من الإشارة إلى أهم المحاذير، وأهم الفوائد والأهداف التي تتعلق بالحوار الإسلامي المسيحي:

أولاً: أهم المحاذير التي يجب التنبيه إليها في الحوار الإسلامي المسيحي:

(1) ـ يجب ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لعرض العقيدة المسيحية، دون التنبيه إلى ما فيها من انحرافات خطيرة تخالف صريح العقيدة الإسلامية.

(2) ـ يجب ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لمناقشة قضايا تتعلق بالأحكام الشرعية الإسلامية للطعن فيها. بحجة الانفتاح، وحرية الرأي.

(3) ـ يجب ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لبحث قضايا جدلية عقيمة، لا فائدة ترتجى منها.

(4) ـ يجب ألا يكون الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لعرض الآراء والقضايا السياسية، أي يجب ألا يستغل الحوار للمصالح السياسية للدول والمنظمات التي تشارك فيه، بل الواجب أن يبقى الحوار في إطار البحث في قضايا العقيدتين الإسلامية والمسيحية، وقضية التعايش السلمي.

(5) ـ يجب ألا يؤدي الحوار الإسلامي المسيحي مطلقاً إلى القول بأي شكل من الأشكال بفكرة وحدة الأديان، لأن الهدف منها تدمير الإسلام، وإذابة كيانه.

(6) ـ يجب ألا يكون الطرف المسلم المشارك في الحوار ضعيفاً، وعلى غير المستوى المطلوب من الكفاءة الدينية والعلمية.

ثانياً: أهم الفوائد والأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال الحوار الإسلامي المسيحي:

(1) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة مهمة في هذا العصر من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، لنشر الدين الإسلامي الحنيف.

(2) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة فعالة لرفع معنويات المسلمين في البلاد الإسلامية التي تواجه الحملات التنصيرية.

(3) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لدعم موقف الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، والمطالبة بحقوقهم.

(4) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة للتفاهم والتعايش السلمي المشترك، في البلدان التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون، ولمنع حدوث الفتن الطائفية.

(5) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لمواجهة عدو واحد يتهدد المسلمين والمسيحيين في البلدان التي يعيشون فيها سوية.

(6) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لمحو الصورة المشوهة للإسلام عند غير المسلمين، وبخاصة المسيحيون.

(7) ـ الحوار الإسلامي المسيحي وسيلة لتوضيح حقيقة المسيحية التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ وذلك بإظهار ونقد الانحرافات والأخطاء في الديانة المسيحية الحالية.

وأود في نهاية هذه الخاتمة أن أسجل بعض الملاحظات والتوصيات تتعلق بقضية الحوار الإسلامي المسيحي وهي:

(1) ـ من خلال متابعة الحوار الإسلامي المسيحي توضح أنه قد تحول الكثيرون من المسيحيين عن دينهم، ودخلوا في دين الله تعالى الإسلام، على حين لم يسجل التاريخ قط هزيمة للمسلمين في حوارهم مع المسيحيين، ولم يحدث أبداً أن تحول مسلم عن دينه، ودخل في المسيحية من خلال الحوار بين المسلمين والمسيحيين، الأمر الذي يؤكد أهمية ودور الحوار في الدعوة إلى دين الإسلام.

(2) ـ الحوار الإسلامي المسيحي بالحكمة والموعظة الحسنة كفيل بالتأثير في

المسيحيين، والوصول إلى نتائج إيجابية عظيمة، إذا أُحسِن استخدامه، مع العلم والعقل والحجج الدامغة، بعيداً عن التهجم والعنف، وإطلاق الصيحات في سِباب وشتم المسيحيين.

(3) ـ ضرورة القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى بالحوار الهادىء، بين صفوف المسيحيين مباشرة، وفي بلادهم، بعيداً عن مواجهة رجال الدين المسيحي، وهيكل الكنيسة، لأن المسيحي عندما يعرض عليه الإسلام الحقيقي، فإنه غالباً ما سيقبله، إذا لم تكن هناك مؤثرات خارجية عليه، وبخاصة الإعلام الكنسي.

(4) ـ محاولة البدء في الحوار مع الطوائف والكنائس المسيحية الموحِدة، والتي لا تعتمد على تأويلات المجامع المسكونية التي ألّهت المسيح، ونادت بعقيدة التثليث.

(5) ـ ضرورة قيام هيئة إسلامية عالمية، تهتم بقضية الحوار الإسلامي المسيحي بعيدة عن المؤثرات والتوجيهات السياسية، يتم من خلالها إعداد الكوادر العلمية والفكرية الفعالة من المحاورين المسلمين، للمشاركة بأي حوار مع المسيحيين في العالم، وعلى جميع المستويات. وأن تبادر إلى عقد مؤتمرات الحوار بإشراف إسلامي كامل.

(6) ـ ضرورة عدم مشاركة أي مسلم أو داعية إسلامي مباشرة في أي حوار مع المسيحيين، عندما يدعى إليه على المستوى الرسمي، إلا بعد الرجوع إلى العلماء والمفكرين المسلمين المتخصصين بالعقيدة المسيحية، حتى لا تسجل نقاط سلبية على الإسلام.

(7) ـ إنشاء معهد للدراسات العليا يتخصص في دراسة الأديان الموجودة حالياً على مستوى العالم.

(8) ـ دعوة المعاهد الشرعية، وكليات الشريعة، والدعوة الإسلامية، وأصول الدين في العالم الإسلامي إلى الاهتمام بالدراسات المتعلقة بمقارنة الأديان.

(9) ـ ضرورة إدخال مادة تتضمن دراسة نقدية للتوراة والإنجيل، في مناهج المعاهد والكليات الإسلامية. ليتسلح بها الدعاة إلى الله تعالى.

وختاماً فإنني أتوجه إلى الله العلي القدير، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني بالقبول الحسن، وأن يجعله فاتحة خير لما بعده من البحوث التي تتعلق بموضوعه، إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين، بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *